المقصد الأسنى

في

شرح الأسماء الحسنى

تصنيف

الشيخ العلامة سيدي عبد العزيز الديريني

المتوفى ٦٩٤ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر

دار الحقيقة

مطبوعات

دار الحقيقة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ– ٢٠٠٨م

دار الحقيقة

للبحث العلمي

القاهرة– مصر

٠٠٢/٠١٠١٤٦٣٠٢٧

توزيع دارة الكرز

١٧ ش منشية البكري–مصر

الجديدة – القاهرة

ت ٢٤٥٥١٣٠٤

الكتاب: المقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى

المؤلف: عبد العزيز الدميري الديريني.

المحقق: الشيخ أحمد فريد المزيدي.

الناشر: دار الحقيقة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

٢٠٠٧/٢٥٥٧٠م

الترقيم الدولي/ **isbn**

٩٧٧-٦١٦٥٦-٧٦-2



مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي باسمه تفتح جميع المطالب، وبحمده وحسن الثناء عليه تختتم المآرب، وبتأييده يستعان على منال الرغائب، وباستصحاب ذكره يتبرك في جميع المذاهب، الخبير بخفيات الصدور، العليم بمحجوبات الغيوب، له القوة التي لا ترام، والعزة التي لا تضام، والجلال الذي لا يسامى، والسلطان الذي لا يغالب ولا يدانى، هو الأول فلا آخر له، وهو الآخر فلا أول له، وهو الظاهر فيما أظهره وهو الباطن فيما أبطنه، ليس كمثله شيء، له المثل الأعلى والأسماء الحسنى والصفات العلى، خلق كل شيء بالحق علوّا وسفلا، آخرة وأولى، وبالحق أتقنه وله أرصده، ذلك بأن الله هو الحق المبين.

والحمد لله الذي نهج سبيل معرفته بما كشف لنا عن حقيقة عجزنا عن بلوغ كنهه، وإن أحاطه بحقيقته فأكمل خليقته به معرفة أعلمهم بأن لا نهاية لمعرفته، ولا غاية لمدى كنهه.

وصلى الله على نبي الهدى والرحمة خاتم النبيين ورسول رب العالمين، جاء بالبينات والهدى إلينا وإلى الناس أجمعين، وعلى جميع النبيين والمرسلين والملائكة أجمعين، وعلى الآل والصحب أجمعين، وسلم أفضل صلاة وأتم تسليم.

أما بعد .. أيها الولي الحبيب والأخ الصافي القريب، فإنك حينما تبحث عن معاني قول رسول الله ﷺ المشهور في حديثه المأثور: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**» وهل هذه المذكورة معينة معرفة أم لا؟ فإن كانت معينة فهل الواجب الاقتصار عليها دون غيرها من الأسماء، وإن كانت معلومة فأي الأسماء هي، وإن لم تكن معينة فهل يجوز لنا أن نستخرجها من كتاب الله جل ذكره وحديث رسوله ﷺ؛ إذ قد وقع الاتفاق من السَّلف ﷺ أجمعين على أنه لا يجوز لعباده أن يسموه تعالى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، ومن قد عَنَوَا باستخراج الأسماء من القرآن والحديث وجدوا أكثر

من هذا العدد، وأن الروايات التي جاءت بتعدادها احتوت باختلافها بتبديل اسم مكان اسم على أكثر من تسعة وتسعين اسمًا من طرق شتى، وكلها حق وأسماء لله عز وجل، فنحن إن اقتصرنا على عدد هو تسعة وتسعون منها أصبنا مع أنَّنا لا نقف على ما عناه رسول الله ﷺ، وحقيقة: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**».

هذا .. وإن الكتاب الذي بين أيدينا من أنفع الكتب في معرفة الأسماء الحسنى حيث قال الشيخ العالم العارف الكامل المحقق الأشعري: وقد استخرج العلماء من القرآن أسماء كثيرة تزيد على المائتين، وقد استخرت الله تعالى أن أجمع في كتابي هذا تفسير الأسماء على مذهب أهل التحقيق، والسنة.

فقد جمع بين كلام المحققين، والمتكلمين من أهل السنة والجماعة، وهذا جمعٌ حَسَنٌ.

ولذلك قد قمت بالضبط والتحقيق، والتعليق والتخريج والعزو للبعض والتوثيق، وما هو إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من دخول الباب، وحصول بركة الأعتاب، وطمعًا في ورثة أُولي الألباب.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الوهاب.

كتبه/ أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي ٠١٠١٤٦٣٠٢٧

❁❁❁

ترجمة مختصرة للشيخ المصنف

هو سيدي عبد العزيز بن أحمد الديريني، عالمٌ عامل، وأديبٌ كامل، وعابدٌ يمنه شامل، وزاهدٌ يشار إليه بالأنامل.

كان حسن الأقوال، جميل الصفات والأحوال، عَلي المقامات، جلي الكرامات، له الأحوال المذكورة والخوارق المشهورة.

أخذ عن العز بن عبد السلام وغيره ممن عاصره، وصحب ابن أبي الغنائم، وتخرّج به، غلب عليه الميل إلى التصوف، واشتهر بذلك، ونظم غرائب القرآن، والسيرة النبوية.

وكان متقشفًا مخشوشنًا، سليم الباطن جميل الأخلاق، لما دخل المحلة كانت عليه عمامة متغيرة اللون، فظنها بعض الناس زرقاء فقالوا له: تشهد فتشهّد، فنزع عمامته، وقالوا: اذهب للقاضي تسلم على يديه، فذهب، فلما رآه القاضي قام إليه، وقبّل يديه وقال: ما هذا؟ قال: قالوا لي تشهد فتشهدت، فقالوا امض للقاضي فجئت، فماذا؟

وكان مقيمًا بالريف، يتنقل من بلد إلى بلد، ويقصد للزيارة من كل قطر. وكان كل كتاب يصنفه في بلد يتركه فيها، ولا يحمله. وطُلب منه كرامة! فقال: وأي كرامة لعبد العزيز أعظم من أن الله يمسك به الأرض، ولم يخسفها به، وقد استحق ذلك، والله ما أرفع رجلي وأضعها على الأرض، وأجدها ثابتة، وفي عيني قطرة.

وكان يحسن علم الكلام على مذهب الأشعري، ويقرره أحسن تقرير، وله فيه عدة قصائد وأراجيز.

ومن كلامه: إلهي، عرّفتنا بربوبيتك، وغرّقتنا في بحار نعمتك، ودعوتنا إلى دار قدسك، ونعّمتنا بذكرك وأنسك.. إلهي، إن ظُلمة ذنوبنا لأنفسنا قد عمّت، وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمّت، فالعجز شامل، والحصر الحاصل، والتسليم أسلم، وأنت بالحال أعلم.

وله مناجاة حسان، قال ابن حبيب: ومؤلفاته تدل على إعانة إلهية.

ومن نظمه:

تَزَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ لِفَرْطِ جَهْلِي ... عَسَى بِزَوَاجِهِنَّ تَقَرُّ عَيْنِي

فَقُلْتُ أَعِيشُ بَيْنَهُمَا خَرُوفًا ... لأنعَمَ بَيْنَ أَكْرَمِ نَعْجَتَيْنِ

فَجَاءَ الحَالُ عَكْسَ الحَالِ دَوْمًا ... عَذَابٌ دَائِمٌ بِبَلِيَّتَيْنِ

رِضَا هَذِي يُحَرِّكُ سُخطَ هَذِي ... فَلاَ أَخْلُو مِنِ إحْدَى السُّخْطَتَيْنِ

لِهَــذِي لَيْلَــةٌ وَلِتِلْــكَ أُخْــرَى نِقَــارٌ دَائِــمٌ فِي اللَّيْلَتَــيْنِ
إِذَا مَــا شِــئْتَ أَنْ تَحْيَــا سَــعِيدًا مِــنَ الْخَــيْرَاتِ مَمْلُــوءَ الْيَــدَيْنِ
فَعِــشْ عَزْبًــا وَإِن لَّمْ تَــسْتَطِعْهُ فَوَاحِــدَةٌ تُكَفِّــي عَــسْكَرَيْنِ

مات سنة أربع وتسعين وستمائة، وقيل: سبع، وقيل: سنة تسع وثمانين، وقيل تسعين، وقيل غير ذلك.

والديريني نسبة إلى ديرين، بكسر الدال المهملة، بلدة بديار مصر من أعمال الغربية.

ومن تصانيفه:

- طهارة القلوب في ذكر علام الغيوب، وهو حسن.
- أنوار المعارف، وأسرار العارف.
- المقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى (كتابنا هذا).
- الوسائل والرسائل في التوحيد.
- إرشاد الحياري في ردع من ماري في أدلة التوحيد ورد النصارى.
- الأنوار الواضحة في معاني الفاتحة.
- التيسير في علم التفسير منظومة في مائتين وثلاثة آلاف بيت.
- الدرر الملتقطة في المسائل المختلطة.
- أركان الإسلام في التوحيد والأحكام.
- دقائق التنبيه في نظم أبي إسحاق في الفروع.
- الروضة الأنيقة في بيان الشريعة الحقيقة (تحت قيد التحقيق).
- شرح التعجيز مختصر الوجيز لابن منعة في الفروع.
- نظم الوجيز للغزالي في فروع الفقه الشافعي.
- الشجرة في سيرة النبي ﷺ، وأصحابه العشرة.
- المورث لمشكل المثلث لقطرب.
- قلادة الدر المنثور في ذكر يوم البعث والنشور (تحت قيد التحقيق).
- ميزان الوفي في معرفة اللحن الخفي.

وانظر: الكواكب الدرية للمناوي (١/ ترجمة٥٢٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني الشافعي -رحمه الله ونفع به المسلمين: الحمد لله العظيم، الولي الكريم، القادر العليم، الفاطر الحليم، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الأول الذي لم يزل عليًّا كبيرًا، الآخر الذي لم يزل غنيًّا قديرًا الذي لم يتخذ ولدًا، ولا معينًا، ولا وزيرًا ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان:٥٩]، الظاهر الذي أظهر أدلة آياته، فهي للعقول ظاهرة الباطن الذي حجب الأوهام عن إدراك صفاته فهي عن الفكر فيه قاصرة، الذي رفع السماء وزينها بالشمس والقمر، والنجوم الزاهرة، ووضع الأرض وحسنها بالأنهار الجارية، والرياض الناضرة ﴿وَهُوَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾ [القصص:٧٠]؛ الملك: الذي ليس له صاحب ولا مشير ﴿الْقُدُّوسُ﴾: الذي ليس له شبيه ولا نظير ﴿السَّلامُ﴾: المنزه عن الزوال والتغيير ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: الذي شهد لنفسه بالوحدانية ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا منازع له في التصريف والتدبير، ﴿الْجَبَّارُ﴾: الذي يقهر المتجبر ويجبر الكسير، المتعالي عن التكييف، والتحديد، والتقديم، والتأخير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

أحمده على جميل رفده، وأعوذ به من إبعاده وصده، وأستجير بقربه من بعده، وبوده من رده، وأسأله التوفيق للقيام بأمره والوفاء بعهده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عزه ومجده ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء:٤٤].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦] ﷺ تسليمًا كثيرًا.

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وهو وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ» هذا آخر الحديث رواه مسلم وغيره[1].

وروى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) مسلم (٤٨٣٦)، وعَبْد الرَّزَّاق (١٩٦٥٦)، وأحمد ٢/ ٢٦٧(٧٦١٢) و٢/ ٢٧٧(٧٧١٨) و٢/ ٣١٤ (٨١٣١) وهو بدون الزيادة الأخيرة عند البخاري (٢٥٣١).

«إِنَّ للهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ الْحَفِيظُ الْمُقِيتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ الْمُحْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاجِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي الْمُتَعَالِي الْبَرُّ التَّوَّابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْغَنِيُّ الْمُغْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ»[٢].

وفي رواية: ذكر أسماء موضع أسماء غيرها ففيها «الغني»، وفيها «المولى»، وفي رواية: «القريب» موضع «الرقيب»، وفي رواية: «المتين المحسن الربّ الحنان الدائم الجميل الصادق المحيط القديم الفاطر العلام المليك الأكرم المدبر الرفيع، ذو الطول ذو المعارج ذو الفضل، ذو العرش الكفيل الخلاق البصير».

وقد استخرج العلماء من القرآن أسماء كثيرة تزيد على المائتين، وقد استخرت الله تعالى أن أجمع في كتابي هذا تفسير الأسماء على مذهب أهل التحقيق، والسنة، وقد سميته:

«المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى»، وجعلت تمهيده وترتيبه على عشرة أصول:

الأول: في الأسماء الدالة على وجود الحق سبحانه، **الثاني**: في القدم والبقاء، **الثالث**: في التنزيه عن المثال، والشبيه، والوالدة، والأولاد، **الرابع**: في وحدانيته وحدانيته الأبدية، **الخامس**: في الحياة، والعلم، والسمع، والبصر، **السادس**: في القدرة الأزلية، **السابع**: في الإرادة، **الثامن**: في الكلام، **التاسع**: في الملك السرمدي الدائم بلا زوال، **العاشر**: في الجلال، والكمال، وذكرت في كل أصل شرح ما يدل عليه من الأسماء، إن شاء الله وبه التوفيق.

---

(٢) رواه الترمذي (٤٣٢٩)، والبيهقي في الشعب (٩٧)، وفي الأسماء والصفات (٦)، والاعتقاد (١٥)، والطبراني في الدعاء (١٠٣)، والدعوات الكبير (٢٤٧)، وأبو نعيم في «إن لله تسعة وتسعون اسمًا» (٢٣)، وأبو بكر الإسماعيلي في معجم مشيخته (٢٣٧).

التمهيد

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف:١٨٠].

فصل

الاسم مشتق من السمو، وقيل: من السمة فهو رفع للمسمى، وتعريف بـه وأسـماء الله كلها حسنى لما تدل عليه من صفات الكمال، والجلال لله ﷻ وهي حسنى أيضًا بالنسبة إلى العبد إذا عرفها وذكر الله تعالى بها، وتخلق بـها تقتـضيه معانيهـا مـن الأخـلاق الجميلـة ليحصل له الصفاء في الأحوال، والإخـلاص في الأعـمال، والـصدق في الأقـوال وذخـائر الإحسان في المـال، وجزيـل الثـواب، وجميـل الأفـضال، وقولـه تعـالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] على أنه تعالى لا يسمى إلا بما سمى به نفسه، فلا يجـوز تـسميته سـبحانه إلا بما جاء به كتابه وسنة نبيه، أو اجتمعت عليه الأمة.

الأسماء تنقسم على ثلاثة أقسام: أسماء تدل على الذات المقدسة، وأسماء تدل على الصفات، وأسماء تدل على الأفعال، وتنقسم من وجه آخر على قسمين: أسماء تدل على السطوة والقهر والجلال، فتوجب للعبد الخوف والرهبة، وأسماء تدل على الرأفة والكرم، والجمال فتوجب للعبد الرجاء والرغبة، والملك من له هيبة تخشى ورحمة ترجى، وقد اختلف العلماء؛ هل له سبحانه وتعالى أسماء غير هذه الأسماء الواردة أم لا؟ فمنهم من قال:

إن أسماء الله تعالى لا تحصى وتمجيده لا يستقصى، واستدل بقوله ﷺ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[٣]، وروى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»[٤].

---

(٣) رواه مسلم (٤٨٦).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٥٢٨)، ومالك في الموطأ (٢/ ١٩١).

ومنهم من قال: إن جميع أسماء الله تعالى قد وردت بها الأخبار، وتأول هذا الحديث على أن الله سبحانه وتعالى أسماء لم يرد لفظها، وهي راجعة في المعنى إلى ما عرفناه، وأجمع أهل السنة على أن كل أفعال الله ورد بها النص جاز أن يشتق منها اسم، وسيأتي بيان الحق سبحانه، وهو أول ما يجب من العلم به وأولى العلم بالتقديم وثمرته التوجه إلى الله ﷻ، كما قال الخليل ﷺ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً﴾ [الأنعام: ٧٩] أي: توجهت بقلبي وسلمت كلي لله حنيفًا أي: مائلاً عن كل شيء سوى الله تعالى إله الحق المبين، النور الهادي الرشيد.

الأصل الأول

في الأسماء الدالة على وجود الحق سبحانه

باب في أسماء الله ﷻ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الاسم هو اسم اللَّه الأعظم، والتعظيم فيه من خمسة أوجه:

الأول: اختصاص الحق سبحانه به، فجميع أسماء الله تعالى قد يسمى بها غيره بمعانٍ أخرى، إلا الاسم «اللَّه» و«الرحمن»؛ ثم إن قومًا من الكفار سموا مسيلمة رحمن اليمامة، ولم يتجاسر أحد أن يسمى باسم الله، معبودًا سواء فلا يجوز التسمي به شرعًا، ولم يقع من أحد التسمي به، وهو قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] أي: هل تعلم أحدًا غير الله، وقيل: معناه، هل تعلم له شبيهًا.

الثاني: عموم معانيه، وأن معاني جميع الأسماء فيه، وذلك أن تقول: الرحيم هو اللَّه، والخالق هو اللَّه، والقادر هو اللَّه، فيفسر به جميع الأسماء ولا يفسر هو بغيره.

وقال بعض أهل الإشارة: إن هذا الاسم إذا سقطت منه الألف صار لله، وإذا سقطت منه اللام الأولى صار له وإذا سقطت منه اللام الثانية صار هو، وهو غاية الإشارة.

الثالث: عظم ثوابه؛ لأن أصل الذكر قولك الله، وفي الحديث عنه ﷺ: **«أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له»**[5].

الرابع: مقارنة الإجابة، وروى زيد أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك

---

(٥) رواه الطبراني في الدعاء (٨٠٠)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ١٧٢).

بأنك الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[٦].

ورُوِى عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا مَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»، فقال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا دَعَا الله، دَعَاهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[٧].

وسئل بعض العارفين عن اسم الله الأعظم! فقال: هو أن تقول الله يعني: فانيًا، غائبًا عن رؤية نفسك والركون إلى حسِّك.

الخامس: عجز العباد عن الإحاطة بمعانيه، وقد اختلف العلماء في معنى هذا الاسم فقيل: هو اسم يدل على وجود الله تعالى، وليس له اشتقاق، كما يكون لغيره أسماء أعلام غير مشتقة، وهذا الاسم للتعلق دون التخلق، ونقل هذا القول عن الإمام الشافعي ﷺ.

وقيل: أصله الإله، ثم دخل فيها الإدغام والتخفيف، وفخم للتعظيم، والإله: هو القديم التام القدرة، فكل ما سوى الله فهو صنعته سبحانه.

وقال بعض العلماء، وهو القاضي أبو بكر بن العربي ﷺ: هذا الاسم لم يختص به إلا البارئ سبحانه لفظًا، ومعنى؛ أما اللفظ فلا يطلق إلا عليه، وأما المعنى، فله فيه عشرة أحكام:

الأول: القدرة على الخلق فلا يقع إلا ما يخلقه سبحانه.

والثاني: ما يكون إلا ما يريد.

والثالث: أنه القاهر الذي لا يقهر.

والرابع: أنه الغالب الذي لا يغلب.

والخامس: أنه الذي لا يصلح التكليف إلا منه.

والسادس: أنه لا يجوز العبادة إلا له.

والسابع: أنه لا ترفع الرغبة إلا إليه.

والثامن: أنه الذي لا تكون الرهبة إلا منه ولديه.

والتاسع: إليه المبدأ والمنتهى.

---

(٦) رواه أبو داود (١٢٧٧)، والترمذي (٣٣٧٧)، والنسائي (١٢٨٢)، وأحمد (١١٧٦٠).

(٧) رواه أحمد (١٣٢٩٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٥٢).

والعاشر: أنه الذي لا ينتظر النفع ودفع الضرر إلا منه، وللعبد في معرفة هذا الاسم عشر ثمرات:

الأولى: التبري من الحول والقوة إلا إليه.

الثانية: أن تسلم إليه كلك وتحمل عليه كلك.

الثالثة: أن لا تجزع من الفقر والضر.

الرابعة: ألا تفرح بالغنى والصحة.

الخامسة: ترك التدبير وشهود التقدير.

السادسة: التسليم لمراده.

السابعة: الرضا بقضائه.

الثامنة: ملازمة طاعته.

التاسعة: الأمن من مكره.

العاشرة: الخوف من مكره.

وقيل: هو مشتق من لا أي: علا فمعناه العلي، وهذا مشتق من الولوه؛ وهو التضرع فمعناه: هو الذي يوله إليه في الحوائج ويقصد في المهمات.

وقيل: هو مشتق من الوله وهو الطرب؛ فمعناه: الذي تطرب أرواح المحبين لسماعه.

وقيل: من التوله وهو التحير؛ فمعناه الذي تحيرت العقول عن إدراك عظمته.

وقيل: «من لاه» أي: دام وبقى، فمعناه الباقي.

وقيل: من الألوهة وهو من التعبد؛ فمعناه: المعبود الحق الذي لا يستحق العبادة سواه.

قال ابن العربي: والأحسن أن يقال: إن هذا الاسم يفيد معناه جميع الأسماء، فإن معنى الإله من له هذه الأسماء الحسنى والصفات العُليا، فهو كامل الإلهية هو الله كلت الألسن وحارت عقول المخلوقات كلهم، ولم يبلغوا الوصف الذي هو حقه، فكبر وعظم.

واعلم أن ما أتيت به بعض الذي يستحقه.

وقال بعض العارفين: قف بين يدي مولاك بوصف الافتقار، ونكّس رأس الذل والانكسار، ولا تبرح على الباب، فعسى تقرب مع الأحباب، وعليك بالتفرد في الخلوات والتضرع في الليالي المظلمات ولازم ذكر مولاك في جميع الحالات إلى أن يصير الذكر لك أنيسًا وفي الوحدة سميرًا وجليسًا.

واعلم أن فائدة ذكرك تعود عليك، وثمرة شكرك ترجع إليك، فإن الله تعالى لا يتجمل بذكر الذاكرين ولا يتزين بشكر الشاكرين، وإنما ذكره شرف للعارفين، وخدمته زينة للعابدين الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين، فقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢]، مدحهم بما منحهم وأثنى عليهم بما أهدى إليهم وعلمهم كيف يثنون عليه، فقال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢]، فارتع بسرك في معنى أسمائه، وأعمر أوقاتك بذكره وثنائه، فلا عيش إلا مع الله، ولا عز إلا بالاستناد إلى جناب الله، ومن اعتمد على مولاه كفاه جميع أمره وسخر له الكون بأسره.

أوحى الله تعالى إلى داود ﷺ: «يا داود من أبغض الدنيا وزهد ما فيها، ولم يشغل قلبه بحبها، وفرغ قلبه لذكري، واختارني على جميع خلقه، وانقطع إلى عبادتي كشفت الحجاب بيني وبينه؛ لينظر بقلبه نظر الناظرين، وأدنيته مني وأكرمته، وأريته كرامتي في كل ساعة إن مرض مرضته، كما تُمرِّض الوالدة الشفيقة ولدها، وإن جاع أشبعته، وإن عطش أرويته، وإذا فعلت ذلك معه أعميته عن الدنيا، وأهلها فلا شيء أسر إليه، ولا أقر لعينه من النظر إليَّ، يا داود أنا حبيب من أحبني، وجليس من جالسني، وأنيس من استأنس بذكري، فارفضوا الدنيا وهلموا إلى كرامتي».

وروى الهروي بإسناد متصل إلى النبي ﷺ أنه قال: «طلب الحق غربة، وطالب الحق غريب، وإن كان بين أهله»[8]، كما قيل:

الحقُّ فَردٌ وطرقُ الحقِّ مفردةٌ والسالِكُونَ طريقَ الحقِّ أفْرَادُ

وقف بعض الصالحين في هدوء الليل، فلم يسمع أحدًا ولا أحس فقال: يا رب ما

(٨) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (١/١٤٨)، وعزاه للهروي، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق كما في المختصر لابن منظور (٢/٤٨٦).

أقل الواقفين على بابك، فهتف به هاتف: ليس ذلك من قلة الأحباب، ولكن ليس كل أحد يصلح للباب، ويقال: المعرفة محو الأذكار سوى ذكره، ووضع الأقدار سوى قدره.

ويقال: العارف من كان عن الأغيار بريئًا، وفي حقوق الله قويًّا، وإنما يشتغل بغير الله من غاب عن الله، اعرض بقلبك عن كل شيء سوى الله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:٢٨]، فإن من صبر ظفر، ومن لازم الباب وصل، ومن واظب قرع الباب يوشك أن يفتح له:

سهرُ العيونِ لغيرِ وجهكَ باطلٌ ... وبكاؤهنَّ لغيرِ هجرِكَ ضائعُ

من ذا الذي يحسن كإحسانه، وأي فضل كفضله وامتنانه، هو الذي اصطفاك في القدم وجعلك من خيار الأمم، وحماك من السجود للصنم، ورباك ببره، وعلمك ما لم تكن تعلم فإن دعوته لبَّاك، وإن أطعته أتاك، وإن عصيته أمهلك، وإن تبت إليه قبلك، وإن تكن له مطيعًا يكن لك وليًّا ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً﴾ [مريم: ٦٥].

حُكي عن الشِّبْلِيّ ﷺ: أنه دخل يومًا على الجُنيد ﷺ، فأرادت زوجة الجنيد ﷺ أن يحتجب عنه، فقال لها الجنيد: إن الشِّبْلِيّ غائب لا يراك فقعد الشِّبْلِيّ ساعة، والجُنيد يكلمه حتى بكى، فقال الجُنيد لزوجته: اذهبي فقد أفاق الشِّبْلِيُّ ﷺ.

قال أبو جعفر الخصاف: تهت في البادية أيامًا فضعفت من الجوع والعطش، فمررت برجل واقف شاخصًا فاتحًا فاه؛ فقلت له: ما هذه الوقفة؟ فقال لي: مالك والدخول بين الموالي والعبيد؛ ثم أشار بيده إلى جهة، فمشيت نحو إشارته فوجدت طعامًا، وماء باردًا فأكلت وشربت، ثم رجعت إليه؛ فقلت له: ما هذا التصوف؟ فقال: لائح لاح فاصطلم(٩) واستباح، وقال: من وفق لإخلاص السؤال والإنابة لم يحرم جزيل النوال والإجابة، فإن وافق دعاؤه سابق القضاء رزقه الله حسن الأدب، وحصل له الرضا بالمنع، فكان أهنأ من بلوغ الأرب، ومن لم يكن أهلاً للرضا والعطاء، قل أن يُوفق لإخلاص

---

(٩) الاصطلام: هو نعت وَلَهٍ يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه، فإن دام ذلك بالعبد حتى سلبه عن نفسه، وأخذه عن حسه، بحيث لم يبق منه اسمًا، ولا أثرًا، ولا عينًا، ولا طللاً، حتى صار مسلوبًا عن المكونات بأسرها، فما دام العبد كذلك فهو ممحو الآثار، فلهذا لا يجري عليه أحكام التكليف، ولا يوصف بتحسين، ولا يخص بتشريف.

الدعاء ومن اشتغل بالله عن حوائجه تولاه الله في جميع شأنه، ومن لم يحفظ أمر الله سلط الله عليه كل شيء.

وحكي أن حاتمًا الأصم ﷺ كان صائمًا يومًا، فلما أمسى قدم إليه فطوره فجاءه سائل فدفعه إليه فحمل إليه في الوقت طبق عليه من كل الأطعمة والحلوى، فأتاه سائل فأمر برفعه إليه، ففتح له بصره في الوقت، فلم يتمالك أن صاح الغوث من خلف، الغوث من خلف وكان في جيرانه رجل يسمى خلفًا فسارع الناس إليه وقالوا: لم تؤذي الشيخ حتى يصيح عليك وحملوه إليه فقال: [..........][10].

وحكي أن رجلاً كان يرعى غنمًا وهو واقف يصلي والذئب يرعى الغنم؛ فقال له قائل: يا هذا متى تصالح الذئب والغنم؟ فقال: لما تصالح رب الذئب، ورب الغنم تصالح الذئب والغنم، قال له: كيف يكون ذلك الصلح؟ قال: فرغ قلبك لإخلاص دعوتك وارفع إلى مولاك باطن قصتك وأظهر بين يديه كامن غصتك، وقل: يا إله العالمين يا من توجهت إليه قلوب السائلين، وعنده عكفت قلوب الآملين خلصني من ظلمة الغفلة والبعاد، وامنن عليَّ كما مننت على أهل القربى والوداد، اللهم اشغل قلوبنا بذكرك وزيّن ألسنتنا بشكرك، ووفقنا للقيام بأمرك، وأعذنا من باب مكرك، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

باب في اسم الله ﷻ الحق المبين

قال الله ﷻ: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ﴾ [النور:٢٥].

الحق هو الموجود الذي يلزم العقول إثباته ولا يسعها إنكاره، ووجود الله ﷻ واجب ووجود غيره جائز فلا مشارك له في وجوب وجوده، والحق المطلق بمعنى الموجود منه، كما قال ﷺ: «أَنْتَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ»[11]، والحق المقيد ما كان حسنًا بالشروع من الاعتقادات والأفعال والأقوال.

وقيل: ورد الإذن بتسمية الله حقًّا موجودًا، قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور:٣٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ﴾ [الأنعام:١٩]، وكل موجود يسمى نفسًا، ومنه قوله ﷻ إخبارًا عن عيسى ﵇: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ

(١٠) بياض في الأصل.

(١١) رواه البخاري (٦٨٨٨).

﴿أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦] معناه: تعلم ما أخفيه أنا، ولا أعلم ما تخفيه أنت، وقال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:٤١] أي: اخترتك لي كليمًا ورسولاً، وقيل: الحق معناه: وضح الحق بالأدلة ومنزل الكتاب بالحق، والحاكم بالحق؛ فمعناه: ذو الحق فتعالى الله الملك الحق الذي له الحق، وليس لأحد عليه حق فهو حق في ذاته وفعله، وقوله: صدق وفعله: عدل، وأكثر ما يجري على ألسنة العارفين اسمه الحق؛ لأنهم اشتغلوا بمعرفة وجوده وإثباته عن جميع مخلوقاته، وأكثر ما يجري على لسان علماء التوحيد اسم الباري تعالى؛ لأنهم يستدلون على الصنعة بالصانع، وأكثر ما يجري على ألسنة الفقهاء اسم الله تعالى لاشتغالهم بالأحكام الشرعية التي هي حق الإلهية، ويقال: لكل حق حقيقة أي: لكل باطن ظاهر، فالإيمان بالله حق، وحقيقة الأعمال الصالحة كقوله ﷺ لحارثة بن النعمان: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ، ثَلاثًا»[١٢].

ومعنى اسمه (المبين) أي: الظاهر بالأدلة، فلا تخفى معرفته على من نظر في صنعته، وقيل: المبين موضح أدلة وجوده ومبينها بين الأدلة العقلية بما أبدع من المخلوقات، وبيَّن بإنزال الكتب ما يحتاج الخلق إليه من الأحكام، وبين لقلوب العارفين بنور الإلهام ما يزيل عنهم ظلمات الإشكال ويفتح عليهم بما لم يخطر ببال، وثمرة معرفة اسم الله الحق أن يشتغل به عن كل حظ عاجل: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ»[١٣].

باب في اسم الله ﷻ النُّور

قال الله ﷻ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] والنور هو الظاهر المعروف الذي وضحت آثار قدرته وظهرت أدلة معرفته.

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما: النور الهادي الرشيد الذي يرشد بهدايته من يشاء، فيبين له الحق ويلهمه إتباعه.

وقد ورد الرشيد في حديث أبي هريرة ﷺ وابن مسعود ﷺ، النور أي: المنور، ومعناه: خالق الأنوار.

وقال أُبيُّ بن كعب ﷺ: النور مزين السماء بالشمس، والقمر، والنجوم.

---

(١٢) رواه الطبراني في الكبير (٣٢٨٩)،

(١٣) رواه البخاري (٣٥٥٢).

ويقال: النور الذي نور السماء والأرض بما خلق فيهما من الأنوار، ونوَّر بمعرفته القلوب والأسرار.

قال الله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور:٣٥] أي: مثل نور هداية الله في قلب المؤمن كمِشْكَاة، وهي الكُوة التي يتَّقِد فيها المصْبَاح أي: فَتِيلَة مَوْقِده، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ [النور:٣٥] مثَّل قَلْب المؤمنِ بالزُّجَاجة الصَّافِية فيها زَيْت صافٍ، ومصباح ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور:٣٥] الزَّيْتُونة التي تكون في وسط الشجرة يكون زَيْتها صَافيًا.

ويقال: الشَّجَرة مثل قلب رسول الله ﷺ؛ لأنَّ أنْوَار قُلوب المؤمنين من بَركة نُوره ﷺ.

وقيل: الشجرة النظر في المصنوعات بعين الاعْتِبار وقيل: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ [النور:٣٥] معناه: مَثَلُ نُور محمد ﷺ، والشَّجَرةُ إبراهيمُ الخليل عليه السلام، فإنه أبوه ومِلَّته مِلَّة إبراهيم عليه السلام، وهذا كله ضُرِبَ مَثَلٌ لهداية المؤمن، ثُمَّ ذَكر مَثَل ضَلال الكفار بالظُّلُمات، فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]، والهدايةُ على ثلاثَةِ مَعَانٍ:

الأول: الدُّعَاءُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧] أي: دَاعٍ يدعوهم.

الثاني: البَيَانُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت:١٧] أي: بَيَّنَّا لهم.

الثالث: الإرْشَادُ والتَّوْفِيق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥]، والله ﷻ هَادٍ؛ لأنه يدعو بكلامه المنزل، ويُبيِّن بقوله وبفعله، ويُرشد من يختار من عباده.

قال الجُنَيْدُ في معنى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]: «أمِلْ قلوبنا إليك، وأَقِمْ هِمَمَنا بين يديك، وكُنْ دليلنا منك عليك»، وإنَّ الله يهدي القلوب إلى الإيمان، ثم يزيد من زوائد العرفان والإحسان ومكارم الأخلاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:٨٢].

وقيل: معناه اهتدى إلى اتباع السُّنة فلم يجنح إلى بدعة.

وقيل: اهتدى آدم على ذلك حتى مات.

وقيل: اهتدى إلى تحقيق التوحيد فعَلم أن نجاته بفضل الله تعالى لا بعِلْمه، ولا بعَمَلِه قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١] إلى الرضَا بقضاء الله والتسليم لأوامر الله. ويقال: الدين شيئان: صِدْقٌ مع الحق، وخُلُق مع الخلق، ويقال: حُسْن الخُلُق

ترك الطغيان في النعمة وترك الشكوى في المحبة.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**طوبى لمن بات حاجًّا وأصبح غازيًا، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: من كثرت عياله وضاقت ذات يده، وحسن خُلُقه معهم يدخل ضاحكًا ويخرج ضاحكًا، أنا منهم وهم مني، وهم الحاجُّون الغازون في سبيل الله**»[١٤].

وقيل: الرَّشِيد هو الذي تقع أفعاله على مقتضى الحكمة كما سبق في علمه، فلا ينسب إليه جور ولا حيف؛ لأنه المالك والحاكم بما يشاء.

وعن أبي بكر بن العربي: الهادي والرشيد من الأسماء الدَّالة على الكلام؛ لأنه هدى إلى الحق والرشاد بما أنزل من الكتب.

ويقال: هَدَى الله جميع العباد إلى مصالح دنياهم، وهَدَى المؤمنين خاصة إلى الإيمان، وهدى نفوس العابدين إلى لُزُوم طاعته، وهدى قلوب العارفين إلى سبيل معرفته، وهدى أرواح المتُواجدين إلى طريق حُجَّته، وهدى أسرار الموحدين إلى مشاهدته، وهدى المتوكلين إلى الاعتماد عليه، وتَفْوِض الأمور إليه.

قيل: إن إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ ﷺ نزل في مسجد ومعه فقير فأصابهما الجوع، وإذا بشابٌّ قد أتاه فقال: أنا عبد من عبيد أبيك، وقد حصل لك من إرث أبيك أربعون ألف دينار وهي عندي، فقال له: اخرج فأنت حر لوجه الله والمال صدقة عليك، فمضى الرجل فقال: يا رب طلبت منك رغيفًا واحدًا فصببت عليَّ الدنيا فوحقك لا تعرضت لطلب شيء من الدنيا أبدًا ما دمت حيًّا.

الأصل الثاني

في الأسماء الدالة على قدم الله ﷻ وبقائه وثمرة معرفة

هذا الأصل ترك الاشتغال بكل حادث يصير إلى الزوال والتوجه إلى المولى الذي لم يزل ولا زال مَوْصُوفًا بنعوت الكمال، والجمال سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

باب في أسماء الله ﷻ

الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، القديم

قال الله ﷻ: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾ [الحديد:٣]، فالأَوَّلُ: هو القديم الأزلي الذي ليس لوجوده بداية، والآخِرُ: الذي لم يزل دائمًا باقيًا ليس لبقائه نهاية، ومعنى الوَارِثُ أي: الباقي بعد فناء خلقه فلا يبقى لأحد مُلْك، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا**﴾ [مريم:٤٠].

(١٤) ذكره الشيخ المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٧٦).

ويقال: الأول صانع المخلوقات فأول ما يسبق إلى العقول السليمة رؤية فعله وتدبيره، الآخر الذي وصل العقل إلى إثباته ووقع الاكتفاء به فلم يطلب معه صانعًا آخرًا إذ ليس وراء الله منتهى.

ويقال: الأول السابق بالفعل، والآخِر الذي لا يحتاج إلى معين في أفعاله، ولا يقدر أحد أن يفعل كفعله.

ويقال: الأول الذي بدأ الخلق، والآخِر الذي إليه المرجع والحكم، وعد المؤمنين بالثواب وتوعد الكافرين بالعقاب الآخر محقق وعده للمؤمنين بفضله ومحق كلمة العذاب على الكافرين بعدله.

ويقال: الأول المعطي قبل السؤال، والآخِر مكمل النعم ومتمم النوال الظاهر المعقول، فيعرف وجوده بصنعته، البَاطِن عن الأوهام، فلا تحيط بحقيقته معرفة القلوب بالإلهية. ويقال: الظَّاهِر الذي تدركه الحواس البَاطِن الذي لا يقاس بالناس ظهر فقهر، والباطن الذي لا يقصد بالضرر.

ويقال: الظَّاهِر معطي النعم الظَّاهِرة، البَاطِنُ معطي النعم الباطنة.

ويقال: الظَّاهِر معطي السؤال، البَاطِنُ معطي ما لا يخطر ببال.

ويقال: الظَّاهِر مدبر الملك الظاهر، البَاطِنُ مدبر الملكوت الباطن.

ويقال: الظَّاهِر القادر القاهر البَاطِنُ العالم بالسرائر.

ويقال: الظَّاهِر للمؤمنين حتى عَرَفوه، والبَاطِنُ عن الكفار حتى جحدوه.

ويقال: الظَّاهِر مُعْطي النعم، البَاطِنُ دافع النقم.

وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنْ الْفَقْرِ**»(١٥).

ويقال: الأوَّل بودِّه لك أبدًا، فلولا أنه بدأك بسابق ودِّه لما أخلصت في عقده وعهد أين كنت حين كان نصب لك الدلائل والأعلام، وزينك بزينة الإيمان، وخلع عليك خُلْعَة الإسلام، وحرسك من الشرك والبدع، وألقى في قلبك حُسْن الرَّجَاء والطمع.

---

(١٥) في مسلم (٤٨٨٨).

ويُروى أن العبد إذا اعتذر إلى الله تعالى يقول الله له: «يا عبدي لو لم أقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار».

واعلم وفقك الله أنَّ من تَفكَّر في صُنوف الضَّلال وطُرق المحال ثم تَفكَّر في ضَعف عقله، وكيف خَلَّصه الله واصطفاه من ظُلْمة جهله، فرأى خالص نفسه وسره، واستبصاره في دينه ونقَّى وجه توحيده عن غَبْرة الشِّرك، وصَفَّى عين عِرْفَانه عن وهَج الشَّك عَلِم أنَّ ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكَدِّه واحتياله وجَدِّه، بل بمِنَّة ربه وفَضْله فالواجبُ على من عَرَف ربَّه وما مَنَّ عليه به ألا يَدَّخر من سرِّه وعلانيته وبدنه وقلبه وروحه شيئًا من أمر الله وحكمه ويبذل الكل لمن له الكل.

ويقال: من غلب على قلبه اسمه تعالى الأوَّل كان غالب فكره في السابقة، فإن العبد لا يدري ما سبق له في علم الله وإرادته، فإن من أقصته القِسْمة السابقة لم تُدْنه الخدمة اللاحقة، ومن قَعَد به جِدُّه لم ينهض به جَدُّه، ومن لم يكن له في السعادة الأزَلية نصيب لم ينفعه الوجه الأصْفَر ولا الكُم المقصَّر ولا الذَّيْل المشمَّر، ولا الدَّمْع المقَطَّر؛ لأن أحكام العزيز المجيد لا تتغير باكتساب العبيد، ومن غلب على قلبه اسمه تعالى الآخِر كان غالب فكره في خاتمته وحيرته في إبهام عاقبته، فكم مغرور بصفاء الأوقات بَرَزت له من فنون الآفات عظيم القوات.

وكم من فقير ظهرت عليه آثار الإرادة ولاحَت عليه أنوار السعادة، وظَنَّ الناسُ أنه من جملة الأولياء وأن له حظًّا في قِسْمة الأصفياء، ثم أصاب ربيع أنسه ورتع قلبه إعصار فيه بار فبدل صفاءه بالوحشة وضياءه بالظلمة، وكم من عبد أُلبِس لبَاس الأشقياء، ثم أُزيل عنه وخُلِع عليه خُلْعة السُّعداء الأصْفِياء ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

حُكي عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: ركبنا البحر مدة فوصلنا إلى جزيرة فوجدنا رجلاً فيها يعبد صنمًا وهو يفقه كلام العرب، فقلت له: إن هذا الصنم لا ينفع ولا يدفع، قال: فمن تعبدون أنتم؟ قلت: نعبد الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، قال: فمن أعلمكم بهذا؟ قلت: بعث إلينا رسولاً اسمه محمد ﷺ، وأنزل عليه كتابًا فآمنا وصدقنا به وتوفى، توفاه الله إليه، وهذا الكتاب عندنا، فقال: أوقفني عليه، فإن كتاب الملك لا يكون إلا كتابًا حسنًا فقرأت عليه شيئًا من القرآن فبكى، وقال: أنا أشهد أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، فحملناه معنا في السفينة وعلمناه الصلاة وقواعد الإسلام وكان معنا إلى

الليل فأخذنا مضاجعنا للنوم، فقال: هذا الإله الذي دللتموني عليه هل ينام؟ قلنا: بل هو حيٌّ قيوم لا ينام، فقال: بِئْس العبيد أنتم عبيد ينامون عن خدمة مولاهم وهو قَيُّوم لا ينام، ثم قام فصلى الليل كله، فلم يزل كذلك حتى وصلنا إلى البلد التي نقصدها، فجمعنا له دراهم وأتينا بها إليه، وقلنا له: خُذْ هذه الدراهِم لتستعين بها على مصالحك، فقال: سبحان الله كيف تدلوني على الطريق وأنتم لم تسلكوها إني كنت أعبد غيره وهو يرزقني من الغيب، فكيف يضيعني وأنا أعبده، ثم لزم العبادة أيامًا ومرض، فأتيته وقلت له: ألك حاجة فأقضيها لك؟ فقال: قَضَى حاجتي الذي جاء بكم إلى الجزيرة وكنت لا أعرفه فقعدت عنده ساعة فأخذتني سِنَةٌ من النوم فرأيت حورية على السرير وهي تقول سألتكم بالله إلا ما عَجَّلتم به عليَّ فقد اشتد شوقي إليه ففتحت عيني، فإذا هو ميت فجهزته ودفنته فرأيته في النوم وهو في قبة على سرير والحور بجانبه، وهو يقرأ في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤].

ومَنْ غَلب على قلبه اسمه تعالى الظَّاهِر اشتغل بإصلاح وقته الذي هو فيه بقطعه عن الفكر في الماضي والمستقبل، وكان اهتمامه شُكر مولاه فيما يتحف به في كل وقتٍ، ومَنْ غَلَب على قلبه اسمه تعالى البَاطِن كان مُشْتغِلاً بربه عن وقته وعن الفكر في حديث نفسه وكل مُحِبٍ مُشْتغل بحبيبه عن حظه ونصِيبه.

الأصل الثالث

الأسماء الدَّالة على تنزيه الله ﷻ عن النقائص (الصَّمد الغني السبُّوح القدُّوس السَّلام).

هذا أصْلٌ شَهِد به العقل وورد بصحته النقل، وثمرة معرفته أن يشتغل العبد بتعظيم مولاه عن الفكر في حقيقة الصفات، ويُنَزِّه عقده مع الله عن الهواجس والوساوس، ويُنَزِّه نفسه عن كل ما يقتضي بعده عن مولاه، ويرغب إلى الله تعالى في ذلك فلا يظهر سواه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

باب في أسمائه لله ﷻ الصَّمد الغَني

قال الله تعالى: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢] قال ابن عباس: الصَّمَد السَّيد الذي انتهى إليه السُّؤْدُد معناه الملك المقصود، يقال: صَمَدْتُ نحو فلان أي: قَصَدت، فالصَّمد هو السيِّد الغني الذي يقصده كل واحد وهو غير محتاج إلى أحد.

وقيل: الصَّمَد المريد لأفعاله، فلا يكون إلا ما يشاء.

وقيل: الصَّمَد ليس بجسم ولا يشبه بالأجسام، والصَّمَد في اللغة الذي لا جَوْف له، فهذا يدل على تنزيهه عن الجِسْمِية وعوارضها من الأكل والشرب والنوم وغير ذلك.

وقيل: إن قومًا أتوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن الله ﷻ ما هو؟ فنزلت سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ أي: قُل لهم يا محمد الإله المسْتَحِق العبادة هو الله الأحد الصَّمَد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ أي: لا نَظِير له، فالأجسام يجوز عليها الانفصال، والاتصال وهي أنواع، وأشكال، ولها أشْبَاه وأمْثَال.

وقيل: الصَّمَد الباقي الذي لا يزول.

وأما اسمه (الغَنِيُّ)، فهو الذي لا يحتاج إلى شيء من الأكوان ولا يَحُدّه زمان ولا يحويه مكان، ولا يحتاج إلى أنصار، وأعوان لأنَّ كل شيء سواه هو خلقه وملكه، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، ومَنْ عَرَفَ أن الله هو الصَّمَد الغَنِيُّ أخلص له في عَبادته، واكتفى به في رفع حاجاته واعْتَمَد عليه في كَشْفِ فَاقَتِه.

قال بعضُ العَارِفين: اصْحَبُوا الله تعالى، فَإِنْ لم تَقْدِروا فَاصْحَبُوا مَنْ يَصْحَبُ الله تعالى، ومعنى صُحْبَة الله تعالى: مُلازَمَة ذِكْرِه، وخِدْمَتِه، فَإِنَّ اللهَ تعالى يقول: «أنا جَليس من ذَكَرَني»[16].

وقيل: إن رجلاً وقف عند قبر النبي ﷺ، وقال: «اللّهُم إنْ غَفَرْت لي سررت حبيبك هذا، وإن رددتني شَمَّتَ عَدُوك إبليس، وأنت لا تُؤثِر شَماتَة عَدوك على سُرُور حَبِيبك»، وَمَنْ عَرَف أنَّ الله هُو الصَّمَد الفَعَّال لما يُرِيد لم يَتَذَلَّل للعبيد، فإن الله لا مشارك له في رزقه، كما أنه لا معين له في خَلْقه، ومن عَرَف أنَّ الله تعالى هو الغَنِي تَعَزَّز بافْتِقَاره إليه، واسْتَغْنَى بالاعتماد عليه.

ورُوى عن النبي ﷺ أنه قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَاللهِ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ التَّكَاثُرَ»[17].

وفي صحف إبراهيم عليه السلام: «إنَّ أحبَّ أحَبابي إلَيّ الفقراء الذين يبتغون مَرْضَاتي

---

(١٦) رواه ابن أبي شيبة (١/١٠٨).

(١٧) رواه البخاري (٥٩٦٥)، ومسلم (١٧٤١)، وأحمد (١٠٥٣٥).

وأمري ويحفظون وَصِيَّتي، وأن من كرامتهم عليَّ ألا أرزقهم ما يشتغلون به عن خدمتي».

ورُوِي أن الله ﷻ يقول: «عبادي وأصفيائي ما زويت عنكم الدنيا لهوانكم عليَّ، ولكن أَرَدْتُ أنْ تُردد أصواتكم على بابي».

قيل: جاء رجل إلى إبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ ﷺ بعشرة آلاف دِرْهَم فأبى أنْ يَقْبَلَها، وقال له: أنتَ تُرِيد أن تمحو اسمي من ديوان الفُقَرَاء بعشرة آلاف درهم، لا أفعل ذلك، وكان يقول: طَلَبْنَا الفَقْرَ فَاسْتَقْبَلَنَا الغِنَى وطَلَبَ النَّاسُ الغِنَى فَاسْتَقْبَلَهُم الفَقْرَ، نَحْنُ والله الملوك الأغنياء لا نُبَالي على أيِّ حَالٍ أَصْبَحْنا وأمسينا إذا أَطَعْنَا الله ﷻ.

تَـأبىَ النفـوسُ لأنْ تكـونَ فقـيرةً ... والفقـرُ خـيرٌ مِـنَ غِنـىَ يُطِغهَـا

فغنَى النفُوسِ هُـو العفـافُ فـإنْ أَبَـتْ ... فجميــعُ مَـا فِي الأرضِ لاَ يكفيهَـا

باب في اسم الله ﷻ القدُّوس السَّلام

قال الله ﷻ: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ﴾ [الحشر:٢٣]، والتقديس هو التطهير ومنه الأرض المَقَدَّسة أي: المُطَهَّرَة الرَّفِيعة القَدْر، ومعنى القُدُّوسُ الطَّاهِرُ المُنَزَّه عَنْ كُلّ نَقْصٍ وعَيْب وآفَة، وهو معنى اسمه تعالى السُّبُّوح أيضًا؛ لأن التَّسْبِيح هو التَّنْزِيه.

وقد سُئِل النبي ﷺ عن معنى سُبْحَانَ الله، فقال: «تَنْزِيهُ الله عَنْ كُلِّ سُوءٍ»[١٨]، ومعناه الطَّيِّبُ أيضًا.

وَقَدْ وَرَدَ في الصحيح: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»[١٩]، والمنزَّه عن كل نَقْصٍ هو الطَّيِّب.

وقيل: التسبيح نفى النقائص، والتَّقْدِيس إثبات الصِّفَات والكمال.

ويقال: القُدُّوسُ الكَامِلُ على الإطْلاق فلا تُدْركه الأوهام بالتحديد، ولا الأبصار بالتصوير، ولا العقول بالتَّقْدِير، ولا يَرْتَقِي إلى تصويره وَهْمٌ ولا يَطْمع في جواز تقديره فَهْم، تَاهَت العقول في قِفَار الحيرة عن الإحاطة بِصَمَدِيَّته، وكلَّت الأبصارُ عن رؤية مخلوقاته، وعَجَزت الأفْهَام عن إدراكِ حقائق حَقِيقَته جَلَّ الواحدُ الأحَدُ، وتَقَدَّس الفَرْد

(١٨) رواه الشاشي (١/ ٧١)، والبزار (١-٣/ ١/ ١٥٤).

(١٩) في مسلم (١٦٨٦).

الصَّمَد عن الشَّريك، والشَّبيه، والولَد. ويقال: القُدُّوس المطهِّر لمن يشاء، طَهَّر نفوس العابدين بحسن تأييده عن اتِّباع الهوى، وطَهَّر قلوب الزاهدين عن الرغبة في الدُّنيا، وطَهَّر سرائر العارفين بنور توحيده عمَّا سواه فهو المولى، ومَنْ عَرَفَ أنَّ الله تعالى هو القدُّوس رَغِبَ إليه في تَطْهير نَفْسِه عن متابعة الشَّهوات ووقْتِه عن دَنَس المخالفات، وقَلْبه عن الاشتغال بغيره من التعلقات، وَرُوحِهِ عن المضاجعات والمساكنات، وسِرِّه عن الملاحظة والالتفات، فلا يتذلل لمخلوق بالنفس التي بها عبده، ولا يَعْظُمَ غيره بالقلب الذي به شهده، ولا يُبَالي بما فَقَده بعدما وجَدَه، ولا يَرْجِع عن طَلَبه بعدما قَصَده، فيه يقُول إذا قَال، وبه يصُول إذا صَال، ويُقال: مَنْ طَهَّرَ لسَانَه عَنِ الغَيْبة وطَرْفَهُ عن النَّظر طَهَّرَ الله سِرَّهُ عن الحجاب والغيبة.

قيل: مرَّ إبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ ﷺ بسكران مُلْقًى على الأرض، فقال: بأيِّ شيء أصابه هذا وقد ذكر الله بلسانه، ثم غسل فمه ومضى، فَلَمَّا أفاق أخبروه بما فعل إبراهيم،فتاب وَحَسُنَتْ توبته،فرأى إبراهيم في منامه قائلاً يقول له: يا إبراهيم طَهَّرت فمه لأجلنا فطهرنا لأجلك قلبه.

ويُحكى أن سبب توبة بِشْرٌ الحَافِيُّ ﷺ أنه وجد ورقة فيها اسم الله ﷻ فَطَيَّبَها ورَفَعَها فقيل له في المنام: يَا بِشْر طيبت اسمنا في الدنيا لنُطَيبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة،فكم من غَنِيٍّ كان يركب الجياد مات اسمه بموته، وبِشْرٌ الحَافِيُّ بقى على الأحقاب ذِكْره ليعلم العاملون أن أحدًا لا يخسر مع الله وليس العزيز بالمال وركوب البراذين مع تضييع الدين والتكبر على الفقراء والمساكين، نما العزيز من تعزز في خدمة رب العالمين.

وقيل: إن بشرًا الحَافِيَّ ﷺ تصدق بقميصه عند موته،ولم يملك غيره ليخرج من دنياه عريانًا كما دخلها عريانًا.

وقيل: إنه أقام ستين سنة يشتهي الفول، ومات ولم يأكله، فلما مات رُؤِي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟، فقال: غفر الله لي، وقال لي: كل يا من لم تأكل، واشرب يا من لم تشرب، وكان يقول:لا يجد حلاوة الآخرة رجل تعرفه الناس ولا يجد حلاوة العبادة إلا من جعل بينه وبين الشهوات سُورًا من حديد.

ورُوي أن الله تعالى أوحى إلى داود ﷺ: «حذِّر أصحابك أكل الشهوات؛ لأن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة».

وقال: آفة الشهوات المباحة إذا تَعلَّق القلب بها واشتغل عن ذكر الله، وكثر الهم

والتعب، وقساوة القلب، وكثر الحساب، وأما الشهوات المحرمة، توجب العقاب.

قال بعض العلماء: عجبًا لمن يترك الحلال خوفًا من الأمراض كيف لا يترك الحرام خوفًا من النار؟.

وقال: من أراد أن يصفو تسبيحه، فليطهر عن الرِّبا أعماله، ومن الإعجاب أحْوَالَه، فتقديس الأعمال عن الآثام، وصْفُ كل عابدٍ، وتقديسُ النفوس عن الأطماعِ وصفُ كل زاهدٍ، وتقديسُ الأسرار عن كل شيء سوى الله، وصْفُ كل واجدٍ.

وعن بعض الصالحين قال: كنت عند سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيِّ يومًا وبيننا وبين البلدة التي فيها الجمعة مسيرة يومين، فقال لي: قُم بنا إلى الجَمعة فأخذ بيدي، ومشى خطوات، وإذا نحن في الجامع فلما صَلَّيْنا، وخرجنا نظر إلى الناس، قال: لا إله إلا الله أهل لا إله إلا الله كثير، والمخلصون قليل.

وقال: من أراد أن يكمل تسبيحه فليجرد قلبه عن الأغْيَار، ويصون سره عن الرسوم والآثار، ومشاكلة الأشكال والأمثال عند هجوم الاشتغال؛ لأن توحيد العبد يظهر عند الصَّدْمَةِ الأولى، فإن فزع إلى الأغيار بقلبه، وعلق بالخلق خواطره ولُبَّه، ورأى من العباد كَشْف هَوَاجِمِ كَرْبِه، ولم يَرْجِع إلا بعد اليأس من الخلق إلى رَبِّه، فهو بعيدٌ من أحْوَالِ العَارِفين، مُنْدَرِجٍ في غَمْرة الغافلين، ومن أَعْرَضَ بقلبه عن الأسباب، ولم يعتمد على الأصحاب، وتَعَلَّق سِرُّه برب الأرْبَاب، فهو من أهْلِ المعْرِفة واليقين، قد أشرق في قلبه نور توحيد المخلصين.

قال بعض الصالحين: كنت أخدم شيخًا بطَرْسُوس فلما حَضَرَته الوفاة، وكانت له بنت صغيرة، فقال لي: إذا أنا مِتُّ فَخُذْ هذه الصغيرة، واذهب بها إلى مكة، واطرحها في الحجر وانْصَرِفْ، ففعلت ذلك وقعدت بعيدًا عنها لأرقبها، وإذا بخادم من خُدَّام الخليفة قد أخَذَها ومَضَى بها، ثم بعد سنين قَدِمْتُ إلى بغداد فرأيت زينة عظيمة، فقلت: ما هذه الزينة؟ فقيل لي: إن خادمًا للخليفة، وجد صغيرة في الحجر بمكة، في وقت كذا وكذا، فأتى بها إلى أُمِّ الخليفة فَرَبَّتها، وأنفقت عليها عشرين ألفًا وزوجتها لابن الوزير، فعند ذلك فهمت إشارة الشيخ.

ويقال: التَّسْبيح هو سِبَاحة الأسرار في بحار الفكرة في المصنوعات، فإن سلمه الله من الآفات، وصل إلى الاستدلال على العلم بصانع الموجودات، والعالم يسبح بروحه في بحار التعظيم، فإن ساعدته السعادة حتى عبر قناطر الشهوات الخفيَّة، وجاوز جسور

الهمم الدنيَّة، وصل إلى جواهر المعرفة فسقط عنه كل نصيب، وهجر في الله كل قريب ونسيب، والعارف يسبح بسره في بحار التوحيد، فإن صحبته العناية حتى عبر منازل الكرامات، وجاوز قناطر المرسومات أدرك جواهر التوحيد، وتحقق بخصائص التفريد، فأما من اتَّصف بظاهر الأعمال من غير إخلاص ولا تحقيق، فهو كما قيل:

همُــو حــسدُونِي قُــربَ دَارِي مِــنكمُ وكَــمْ مِــنْ قريــبِ الــدارِ وهــوَ بعيــدُ

ومعنى اسمه (**السَّلام**): السَّالم من كل نَقْصٍ، وسم الخلق بالنقص دليلاً على حدوثهم، وتَفَرَّد بالكمال دليلاً على توحيده، وكل وصف يدل على الحدوث، فهو في حق الله تعالى مُحال، تَقَدَّس ذو الجلال والعز.

وقيل: السَّلامُ هو المسلم عباده من المهالك سلم المؤمنين في الدنيا من الشك والشرك والبدع، وسلمهم في الآخرة من العذاب، وأمنهم من الفزع.

وقيل: السَّلامُ المسَلِّم على المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، فيسر بالنظر وسماع الكلام، ومن عرف أن الله هو السَّلامُ رَغِب إليه في سَلامة قلبه، والقَلْب السَّلِيم السَّالم من الشِّرك والشَّوْك والشُّبُهات، ثم من الإِصْرَار على المخالفات، ثم من الغفلة التي هي أصل جميع الآفات، فمن حصلت له هذه السلامة سَلِم من الغِلِّ والغِشِّ، فله الأمان والنجاة والفوز بالدرجات.

ويقال: القلب السَّلِيم السَّالم من الغِلِّ والغِشِّ للمسلمين، وفي الصَّحيح: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[٢٠].

ويقال: صفة البَرِّ أنه لا يُضمِر الشَّرَ، ولا يُؤْذِي الذَّرَ.

ويقال: إن من الناس من يعطى كتابه، فلا يجد فيه حسنة، فيقول: يا رب أينَ صلاتي وصيامي، فيقال له: ذلك ذهب بغيبتك للناس، ومن الناس من يقرأ في كتابه حسنات لا يعلمها، فيقول: من أين لي هذا؟ فيقال له: حسنات من اغتابك.

قال يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيّ ﷺ: ينبغي أن يكون حظ المسلم من أخيه ثلاثة: إن لم ينْفَعه فلا يَضُره، وإن لم يَسُرّه فلا يَغمّه، وإن لم يَمْدَحه فلا يَذمّه، وينبغي للمؤمن إذا رأى من هو أكبر منه سنًّا أن يقول: هذا عرف الله قبلي، وإذا رأى أصغر منه أن يقول: هذا أَقَلُّ

(٢٠) رواه البخاري (٩).

ذنوبًا مِنّي وأنا عصيت الله قبله، وإذا رأى من هو في سنّه يقول: عيوبي أنا أعلمها، وعيوب هذا لا أعلمها، فإن رأى عيبًا تأوَّل وصَفَح، وإن أساء إلى أحدٍ بادَرَ واعتَذَر.

قال الجُنَيْد رضي الله عنه: رأيت في الطريق فقيرًا يسأل الناس، فقلت في خاطري: لو عمل هذا شيئًا لكان أجمل به، فقمت في الليل إلى وِرْدِي، فثَقُل عليَّ النُّعَاس فنمت فرأيته في المنام قد قدم إليَّ، وقيل لي: كل من لحمه، فقلت: أنا ما اغتبته ولكن قلت ذلك في خاطري، فقيل لي: يا جُنَيْد، يا أبا القاسم هل تعود؟ قلت: لا، قال لي: غفر الله لنا ولك.

الأصل الرابع
في الأسماء الدالة على الوحدانية، وهي:
(الواحد الأحد الفرد الوتر الحسيب الكافي)

وثمرة هذا الأصل التوحيد، وتحقيق التَّجْرِيد عن كل ما سواه، والاكتفاء به سبحانه وتعالى وقَطْعُ النَّظَر إلى العَلائِق لشُهُود الخَالِق.

باب في اسمه ﷻ الواحدُ الأحَدُ

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦] هو القَدِيم الذي لا قديم سواه لأن القَدِيم لا يكون إلا واحِدًا، وذلك أن حقيقة القَدِيم السَّابِق لكل ما سواه، فلو فرضنا وجود قديمين لكان كل واحِد منهما غير سابق للآخر فظل قدمه فلا قديم إلا الإله الواحِد سبحانه وتعالى الواحِدُ الأحَدُ الذي ليس بجِسْم، ولا جَوْهَر، ولا عَرَض؛ لأن الجسم يجوز عليه الانقسام فليس بواحد، والجَوْهَر يجوز انضمام غيره إليه فيصير جسمًا، والعَرَض مفتقر إلى محل يحله، والواحِدُ الأحَدُ الفَرْدُ الوَتْر هو الله ﷻ الذي لا يجوز عليه الانفصال بشيء، ولا يدخل في العدد، ولا يضم إليه غيره، هذا معنى كونه واحِدًا في ملكه لا شريك له.

ويقال: الواحِدُ الذي لا شريك له، الأحَدُ الذي لا شبيه له، ويقال: الواحِدُ الذي لا حَدَّ لسلطانه فلا يصح الخروج عن ملكه.

وقيل: الواحِدُ الذي يقرب من يشاء، ويختص بالولاية من يشاء وتوحيد الله ﷻ لنفسه علمه بأنه واحد وإخباره بذلك في كتبه المنزلة، قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، وتوحيد الخلق لله ﷻ علمهم بأنه واحد وإقرارهم بذلك، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ أي: تشهد بذلك الملائكة، والمؤمنون، وهذا التوحيد نور يقذفه الله في القلب، فينفى به ظلمات الشرك.

قال الله ﷻ تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، ثم يزداد وضوحًا بتأمل بدائع المصنوعات، وسماع القرآن، وملازمة ذكر الله وطاعته حتى تسقط رؤى الوسائط في الأفعال، وتصير ضرورية فلا يرى فاعلاً غير الله هذا كله مع حفظ الشريعة، والوقوف على الحدود امتثالاً لأمر الله.

وسُئل الجُنَيْد عن التوحيد! فقال: هو معنى تَضْمَحِلّ فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم، ويقال: التوحيد فناء ذكر الأشياء عن القلب وانفراده بالله.

ويقال: التوحيد أن يكون العبد شبحًا بين يدي الله تجرى عليه تصاريف تدبيره بالاختيار.

وقال أَبُو سَعِيدٍ الخَرَّازُ ﷺ: التوحيد أن يعلم أن الله غير مُشبه بالذات، ولا مَنْفى الصفات، ويقال: التوحيد إسقاط الياءات، يعني: ياءات الإضافة فلا تقل علمي، ولا عملي، ولا حالي، ولا مالي.

قال رجل لبعض الصالحين: اذكرني في خلوتك، فقال: إذا ذكرت ربي نسيت نفسي فكيف أذكرك.

قيل: إن الشِّبْلِيُّ ﷺ سمع امرأة تصيح خلف جنازة ولدها وهي تقول: والله مالي سواه، فصاح الشِّبْلِيُّ ﷺ: وقال والله مالي سواه ووقع مغشيًا عليه ﷺ.

باب اسم الله ﷻ الكَافِي، الحَسِيب

الكَافِي الذي حاجة معه إلى سواه؛ لأنه إله واحدٌ غير محتاجٍ إلى مُعِين له ولا مُشِير.

ويقال: الكَافِي هو الذي يعطي الكفاية وفوق الكفاية.

ويقال: الكَافِي دافع البلاء، وأما اسمه الحَسِيب فهو الكَافِي، ومنه ﴿حَسْبِيَ اللهُ﴾ [التوبة: ١٢٩] أي: كافيّ الله، ومنه الحَسِيب المحاسِب المحْصِي للأعداد العالم بها[٢١].

وقيل: الحَسِيب المحَاسِبُ لعباده يوم القيامة، ومن عَرَفَ أنَّ الله هو الحَسِيب الكَافِي تَوَكَّلَ عليه ورجع في كل الأمور إليه، فإن اكتفى بالله كَفَاه.

وفي الحديث: «مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ همًّا وَاحِدًا هَمَّ المَعَادِ كَفَاهُ اللهُ سَائِرَ الهُمُومِ»[٢٢].

قيل: عن بعض الصالحين ورث مالاً، فقال: اللهم إني لا أقدر على حفظ هذا المال،

---

(٢١) فالحسيب اسم له تعالى باعتبار إحاطته بعدد خلقه وعدد أنفاسهم وحركاتهم وسكناتهم وحالاتهم، إلى منتهى غاياتهم.

(٢٢) رواه ابن ماجه (٢٥٢، ٤١٠٩٦).

فاحفظه لي عندك، وتصدق به وانقطع لعبادة الله فما احتاج إلي شيء إلا فتح الله به في وقته.

حُكي أنَّ رجلاً دخل إلى رابعة العدوية – رضي الله عنها– وهي نائمة فسرق ملاءة كانت في البيت وأراد أن يخرج فلم يعرف الباب فبقِي متحيرًا، وإذا بهاتف يهتف، ويقول: إنا لنحرسها ولا نتركها لك فطرح الملاءة، وخرج وتاب إلى الله ﷻ، وثمرة الكفاية الأُنْسُ بِذِكْرِ الله، والانْقِطَاعِ إليه، وإنما عاشت الأولياء بالانقطاع إلى الله ﷻ.

قال أَبُو فَرْوَةَ ﷺ: بينما أنا أسير في جبل لبنان إذ أتيت بعض الأودية بليل، وإذا أنا بصوت محزون وهو يقول: يا من آنَسَني بقُرْبه، وأوحشَنِي من خَلْقه، وعنده مَسرَّتي ارحم اليوم غُرْبَتي، فَدَنوْت منه فإذا هو شَيْخٌ كبير، فلما أحَسَّ بي هرب، فقلت: أنا إنْسِيٌّ مثلك، فقال: منهم هربت وتركني ومضى.

وقال بعضهم: خرجت في طلب أبي العَبَّاس البَغْدَادِيّ زمانًا فوجدته بالإسكندرية على ساحل البحر شاخصًا، فلما دَنَوْت منه أَنْشَدَني:

قـــدْ كنـــتُ فِي الوحـــدةِ مستوحـــشًا	فـــصرتُ بالوحـــدةِ مستأنـــسًا
فـــصارتْ العزلـــةُ لِي مألفًـــا	وصـــارتْ الخلـــوةُ لِي مجلـــسًا

ثم قام وتركني، وقال بعضهم: مررت في بعض جبال الشام بعابد على رأس جبل فلما رآني هرب مني، فقلت: يرحمك الله إِنْسِيٌّ يهرب من إِنْسِيٍّ مثله، فقال: وهل البلاء إلا معكم والتزين والرِّياء، والتصنع إني لفي هذا الجبل مقيم ما شاء الله تمر بي السباع، فلا أجد لها في قلبي وحشة، وإني لأستأنس بها أكثر من أُنْسِي بكم؛ لأنكم قوم ملأت الدنيا قلوبكم فمالت أيديكم إليها واستأنستم بها، فأنتم تستوحشون عند فقدها وأنتم مع انقطاعها عنكم لا يطيب لكم عيش، إن أقبلت عليكم أَتْعَبَتْكُم، وإن انْصَرَفَت عنكم أَحْزَنَتْكُم، فهَلُمُّوا يا أبناء الشقاء وعبيد الدنيا إلى الراحة من رقِّ الهوى والتَّنَعُّم بخدمة المولى.

قيل: وقف رجل على بعض العباد، فقال له: ما الذي دعاك إلى الانقطاع في هذا الجبل، فقال: كَنْز وقعت عليه فهربت به فأنا أعمل في ستره وأرغب إلى الله في حفظه، فقال له: ما هذا الكنز؟ قال: عقْد توحيدي وإخلاص عملي وسكون قلبي إلى ضمان ربي.

قال بعض الصالحين: دخلت الكهوف فوجدت شيخًا كبيرًا قد نحل من الهَرَم، وهو ساجد يبكي ويقول: لئن أطلت عنائي في الدنيا وعذبتني في الآخرة لقد أتعبتني وأهنتني يا كريم، فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وقلت له: ما حملك على هذا الانقطاع،

قال: يا أخي من طلب الله لم يرض بغيره عِوَضًا، فحيثما وجدت قلبك أقرب إلى الله فلا تطلب غيره، فقلت له: القوت من أين؟ فقال: الأمر أقل من ذلك إن احتجت إلى شيء فنبات الأرض وقلوب الشجر، فقلت: ألا أحملك إلى موضع الخصب، فقال: إنما الخصب حيث يطاع الله ﷻ ولا حاجة لي بالناس، فقلت: أوصني؟ فقال: لا تَدْخِر من نفسك لنفسك شيئًا ولا تُؤْثِرنَّ بحظك من الله أحدًا، وارع حدود الله عند مُغَالبة الهوى ولا تُرد بعملك غير الله والسلام.

الأصل الخامس
في الأسماء الدالة على إثبات الحياة، والإدراك

قال الله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] ثمرة معرفة هذا الأصل مراقبة الله ﷻ في جميع الأوقات، والحياء من نظره في سائر الحالات، والأنس به في الخلوات والتَّلَذُّذ بالمناجاة، وتخفيف أثقال العبادات، والرجوع إليه في المهمات، قال الله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان:٥٨].

باب في أسماء الله ﷻ
الحَيُّ، القَيُّومُ، العَلِيم، الحَكِيم، المحِيط الوَاسِع، المُحْصِي، الحَفِيظ، الشَّهِيد، السَّمِيع، البَصِير، الرَّقِيب، القَرِيب

الحياة صفة قديمة باقية لله ﷻ، فهو حَيٌّ لا كالأحياء وشيء لا كالأشياء، لا شبيه له في ذاته وصفاته ولا يشبهه شيء من مخلوقاته[٢٣].

والقَيُّومُ القَائِم بنفسه الغَنِي عن غيره، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كان الله ولا شيء معه**»[٢٤].

---

(٢٣) الحي: من له الحياة والحياة فينا معنى باطن يتصل بمعنى إلهي بائن عنه منفصل عن ذلك المعنى أنواع الحركة ظاهرًا وباطنًا، وأصله على استقراء معاني اللغة الاجتماع، وسمى الحي حيًّا لاجتماع أمره كله وأسمائه وصفاته بالحياة، والحياة معنى باطن يدل عليه الأسماء والصفات كالعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك وما اشتق من الأسماء عنها الاعتبار الحي على الإطلاق هو المتصف بجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى بها، بابها وحقائقها على الكمال الأقصى على معاني الربوبية وسمات الألوهية ليست مجهولة ولا مفعولة بل هي موجودة به وجودًا اختصاصيًّا واختصاصًا دائبًا واستحقاقًا نفسيًّا. [برجان] أتم الله تحقيقه.

(٢٤) رواه الحكيم في النوادر (٤/ ١٠٤).

وروى البُخَارِي عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قال: الحق سبحانه غني عن جميع الخلق والأكوان، فلا يحتاج إلى مكان ولا أعوان سبحانه.

وقيل: القَيُّوم هو الدائم الباقي الذي لا يزول.

وقيل: القَيُّوم هو مدبر السماوات والأرض، وكل شيء قَائِم بأمره، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم:٢٥] والقيوم والقائم والقيام والقوام، والقيم، بمعنى واحد.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَوْلُكَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ والنَّبِيّون حَقٌّ، ومحمّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ، أَنْتَ الحَيّ لا إلهَ إلا أَنْتَ»[٢٥].

ومن عرف أنَّ الله تعالى هو الحيُّ القيُّوم توكَّل عليه، ورأى كل ما سواه بعين الفَنَاء والزَّوال، ولم يبق للدنيا عنده قدر، وأحبَّ الموت للقاء الحيِّ الذي لا يموت.

وفي الحديث: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[٢٦]، والتَّوكُّل تَوَكُّل القلبَ على الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات:٥٨]، وهذا شَرط في الإيمان.

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، فإذا تمكنت المعرفة من القلب سكن إلى ضمان الله وزال عنه الاضطرار إلى الأسباب، ثم تفاوت الناس في سُكون القلب على قدر قوة المعرفة، ومن اعتمد على مخلوق اختَل بناؤه عند فقده.

قيل: إنَّ رجلاً كتب إلى بعض العارفين: إني كان لي صاحب، فمات وقد حصل لي ضرر بموته، فقال: لو أحببت من لا يموت ما حصل لك ضرر.

---

(٢٥) رواه البخاري (٦٨٣٧)، والنسائي في الكبرى (١/ ٤١٦).

(٢٦) رواه الترمذي (٢٢٦٦)، وابن ماجه (٤١٥٤).

ويقال: العارف من سقطت قيمة الدنيا عنده عاش براحة التفويض، وزال عنه خوف الفقر.

قيل: جاء سائل إلى الحَسَن بْن عَلِيٍّ – رضي الله عنهم- فسأل شيئًا، ولم يكن عنده في ذلك الوقت ما يعطيه فدفع له بغلته، فقيل له: إن الله أولى بعباده، قال: إني لأستحيي أن اسأل الله فيعطيني، ثم لا أعطي من يسألني.

وقيل: العارف لا يطلب حوائجه قلّت أو كثرت إلا من الله، فإن موسى عليه السلام طلب من الله رغيفًا، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]، وطلب النظر إليه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وقيل: لبعض العارفين لم لا تطلب من الله؟ فقال: إني لا أعلم ما فيه صلاحي فأطلبه، قال أَبُو عَبْدِ الله الْقُرَشِيُّ: عفِّر وجهك في التراب وقُل: ربِّ ارحم فَقْرِي، وضَعْفِي، وأَعْطِني ما يُصْلحني.

حُكي عن عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أنه خرج يومًا إلى البادية متنكرًا في بعض أموره فلقي فقيرًا فحَدَّثَه ساعة فأعجبه حَدِيثه، ووعده أن يعطيه شيئًا، فقال الفقير: إني عاهدت الله أن لا أقبل من بخيل شيئًا، قال له: وما رأيت من بخلي؟ قال: تأخيرك العَطَاء وأنت قَادِرٌ على التعجيل، فناوله سيفه وقال: خُذْ هذا واعذرني فإني ذَهَلْتُ ، فقال الفقير: ولا أقبل مِنْ ذَاهِل شيئًا دعني وربي الذي لا يَذْهَل ولا يَبْخَل، فقال له: أنا عَبْد المَلِكِ بْن مَرْوَان فاطلب حوائجك، فقال الفقير: وأنا عبد الملك، فهل نرفع حوائجنا إلاَّ إلى من نحن له عبيد؟ ثم انصرف عنه.

باب في اسم الله ﷻ العَلِيم، الخَبِير

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ [النساء:٣٥] العلم صفة قديمة باقيةٌ من صفات الله سبحانه وتعالى، فهو العالم بما كان وما يكون وبما لا يكون، أن لو كان كيف كان يكون بعلم واحد لا يتعدد ولا يتجدد، ووزن فَعِيل وفَعُول وفَاعِل وفَعَّال في اللغة للمبالغة، فالعَلِيم والعلاَّم الذي أحاط علمه بكل شيء، وهو معنى المحيط.

والوَاسِعُ: هو الذي وَسِعَ كل شيء عِلْمُه، والمحْصِي هو الذي أحصى كل شيء عددًا. ويقال: الواسِعُ الغَني: الذي يعطي عن سِعَةٍ، ويَمْنَع عن قُدْرَة.

ويقال: الواسِعُ الكثير العطاء، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً﴾

[غافر:٧]، والعَلِيم الذي يعلم دقائق الأمور وعواقبها ومصالحها، فيفعل الأشياء بحكمة متقنة جارية على سنن الصواب والحكمة تفضلاً منه ورحمة، خصَّ قومًا بالسعادة من غير سبب، ولا جهد، ولا طلب، ولا شرف، ولا نسب، ولا سعْي، ولا نَصَب، ورمى قومًا بسهم بِعَادِه، ووضع قَدْرَهم بين عباده، وصَرَفَهم عن بابه وخدمته، وحَرَمَهم نعيم حضرته ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة:٤١]، ولم كان إبليس من خُزَّان الجنة، وكان من الملائكة، وخلعة التوفيق عليه عارية، فلما سقط عن رتبته صار تحت الطَّرْد لا يلوح رقم شقاوة على أحد إلا كان منه السبب كما قيل شعرًا:

لَا تعجبُـــوا لمـــذلتي فأنَـــا الـــذِي حكـــمَ المليـــكُ بـــذلتي وهــــواني

وربما حكم الحق سبحانه وتعالى لبعض عباده بالسعادة في الأزل، وأظهر عليه لباس البعاد مدة إلى أن يبلغ الكتاب أجله، فيدركه أزلي الرحمة وسابق القسمة.

حكى أَبُو حَفْصٍ النَّيْسَابُورِيُّ ﷺ أنه خرج يومًا مع أصحابه، فمروا على دار فيها شجرة كُمثرى قد أزهرت، فوقف أَبُو حَفْصٍ ينظر إليها، فخرج صاحب الدار فعزم عليهم فدخلوا، وكان صاحب الدار مجوسيًّا، فأعطاهم دراهم وقال: إنكم لا تأكلوا طعامنا، فابعثوا من يشتري لكم طعامًا، فبعثوا إلى السوق واشتروا فأكلوا وقعدوا ساعة يقرؤون القرآن، ويذكرون الله ﷻ، فما خرجوا من الدار حتى أسلم المجوسي وأهل بيته، وكانوا بضعة عشر نفسًا فقال أَبُو حَفْصٍ لأصحابه: إذا خرجتم للنزهة فاخرجوا هكذا.

ومن عرف أن الله هو العليم اكتفى بعلمه عن جَرَيان حكمه لما علم، قيل: إنَّ إبراهيم الخليل ﷺ لما رُمِي في المَنْجَنِيق تَعَرَّض له جبريل عليه السلام، فقال له: أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ أَمَّا إِلَيْك فَلاَ، قال: فاسْأَل الله حَاجَتَك، قال: حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُه بَحَالِي.

قيل للجُنَيْد ﷺ: من أين نطلب الرزق؟ قال: إن علمتم أين هو فاطلبوه، قالوا: نسأل الله الرزق، قال: إن علمتم أنه نسيكم فَذَكِّروه.

ومن ثمرة معرفة العلم مراقبة الله في السر والجهر، قال الله ﷻ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ الله وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، فهو ثالث الاثنين، ورابع الثلاثة، وخامس الأربعة، ومعناه ما من عدد قَلَّ أو كَثُر إلا والله ﷻ مُطَّلِع عليه عالم بسرائره، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧].

وقد تبين هذا المعنى في آخر الآية وهو سبحانه وتعالى مع أحبابه خاصة بحمايته ونصرته، وإحياء قلوبهم بروح منه، فيتمتعون بقربه وحضرته ومناداته، وهو سبحانه وتعالى لا تحويه الجهات، ولا تكتنفه الأرض والسماوات، قال الله ﷻ في قربه من المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وفي الصحيح مما ورد في الدعاء عنه ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ»[٢٧] يعني بذلك: اللطف والتدبير والإعانة، ولا يجوز أن يقال: رابع أربعة؛ لأنه لا يدخل في العدد سبحانه وتعالى.

وفي بعض الكتب المنزلة: إن كنتم لا تعلمون أني أنظر إليكم، فالخلل في إيمانكم إن كنتم تعلمون أني أنظر إليكم، فقد جعلتموني أهون الناظرين.

قال إِبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ ﷺ: كنت في البادية فأصابني جُوع، فقصدت بلدًا كان لي فيها معارف، فمررت على قوم على حالة منكرة، فأنكرت عليهم ما هم فيه، فأخذوني وضربوني، فنوديت يا إبراهيم إنما ضُربت؛ لأنك سكنت بقلبك إلى معارفك.

وقال أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ ﷺ: دخلت الكوفة وأنا جائع، وكان لي بها صاحب، فأتيت إليه فلم أجده، فدخلت مسجدًا هناك وقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى المتوكلين، وقعدت انتظر صاحبي، وإذا بفقير قد دخَل المسجد وهو يقول: الحمد لله رب العالمين سبحان من أخلى الأرض من المتوكلين، وسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، يا أبا سَعِيد التَّوَكُّل في الصحاري والبراري ليس التَّوَكُّل بالجلوس في المساجد والسواري، ينتظر صاحبه الحواري، وكان صاحبي يبيع الحواري، فالتفت فلم أجده.

قال بعض الصالحين: كنت في جماعة من الفقراء، فأصابتنا فاقة شديدة فأتينا إلى إِبْرَاهِيم الْخَوَّاص، فلما وقع نظره علينا قال: الحاجة التي خرجتم فيها الله قد علم بها؟ قلنا: بلى: قال: لا ترفعوها إلا لله فرجعت والفقراء، فوجدنا قد فتح بشيء كثير، ومن العارفين من إذا عرضت له حاجة لم يطلبها بلسان، بل يتوجه إلى ربه ويرفع قصته بالقلب بين يديه.

يحكى عن أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ أنه جَاءَه رَجُلٌ ومعه جماعة من الناس يشكون له قلة المطر، فقال لخادمه: أصلح الميزان حتى ينزل المطر ولم يتكلم بشيء ﷺ.

(٢٧) رواه مسلم (٢٣٩٢)، ومالك في الموطأ (٦/ ٩٢).

ويُحكى أن بعض الفقراء وُلِدَ له وَلَدٌ، ولم يكن معه شيء، فقصد مَعْرُوفًا الكَرْخِيَّ وشكا له ضرورته وكان في الليل، فقال له: اقعد، وإذا بعد ساعة جاء رجل ومعه صرة، فقال مَعْرُوفٌ للرجل: ادفعها إلى ذلك الفقير، قال: إن فيها ثلاثمائة دينار، فقال مَعْرُوفٌ ﷺ: هكذا أردنا أن تكون.

واسمه تعالى الخَبِيرُ: هو العالم بالأشياء، والمخبر بشهادته وبعلمه وقوله: شهد لنفسه بالوحدانية، ولرسوله بالصدق، ويشهد للمؤمنين بأعمالهم، ويشهد على العاصين بأفعالهم. وقيل: الشَّهِيدُ الذي بيَّنَ أدلة معرفته ببدائع صنعته.

وقيل: الشَّهِيدُ المشهود الذي شهد بربُوبيته كل شيء من حيث الأدلة وشهدت له المؤمنين بالمقالة، ولفظ: فَعِيل يصلح للفَاعِل والمفْعُول، وسمى المقتول في سبيل الله شهيدًا أي: شاهدًا بذل نفسه في صحة إيمانه، والغريق ونحوه من الشهداء؛ لأنه صيرهم شهداء على صحة إيمانهم.

وقيل: إنهم سُمُّوا شهداء؛ لأنهم يشاهدون رحمة الله عند الموت.

وقيل: سموا شهداء؛ لأن الله تعالى شهد لهم على لسان نبيه ﷺ بالجنة.

وقيل: سموا شهداء؛ لأن ملائكة الرحمن تشهدهم.

وقيل: كل مؤمن يموت على الإيمان، فهو شهيد وإنما الشهداء درجات، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩].

ومن غلب عليه اسمه تعالى المحْصِي راعى الله في أنفاسه، وكانت فكرته في كثرة جناياته مع كثرة منن الله عليه.

وقيل: لبعضهم كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ولي من نعم الله ما لا أُحْصِيه مع كثرة ما أعصيه، فلا أدري أيُّ الحالتين أشكر جميل ما نَشَرَ أم قَبيحُ ما سَتَرَ.

وقيل: إن رجلاً فكر يومًا في عمره فحسبه أيامًا، ثم قال لنفسه: والله لو كان كل يوم ذنب واحد لكان كثيرًا، فكيف لي في كل يوم ذنوب كثيرة، فغلب عليه الخوف، فمات من ساعته.

وقال أَبُو حَفْص ﷺ: منذ ثلاثين سنة ما أمليت على الحفظة شيئًا، لأني استحي منه ولا واليت أحدًا للدنيا.

وقيل لبعضهم وهو يُسبِّحُ بمسبحته: أتعد على الله؟ فقال: إنما أعد عليَّ.

ومن المحبين من يحب البعاد، ويتأسف على سالف الوداد وأوقاته، فإن التأسف على الأوقات السالفة الأكثرين من هذه الطائفة، وقلَّ أن يكون أحد منهم إلا وله في هذه القصة حصة، قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللهِ﴾ [إبراهيم:٥] أي: بالأيام الماضية التي أكرم فيها أولياءه وأهان فيها أعداءه.

قيل: كان الجُنَيْد يقول: لا أزال أحن إلى بدايتي وأحدث نفسي بركوب الأهوال، طمعًا في الوصال، وها أنا في أوقات الفترة أبكي على الأيام الماضية، ثم أنشد يقول:

منازلُ كنتَ تهواهَا وتألفهَا ... أيامُ كنتَ علَى الأنامِ منصورًا

واعجبًا للقلوب التي رميت بعد الوصلة، وأضلها سحائب الغيبة بعد أنس القربة كيف لا تتقطع أسفًا، وتتفطر حسرة ولهفًا، وإن من الأحباب من يسامح في الغيبة، بل إن قصر في الحضور والإرادات على رأسه رحى المحنة؛ لأن الأحباب يسامحون الأحباب ما خلا الغيبة، وقال بعضهم:

كلُّ شيءٍ لكَ مغفورٌ سوَى الإعراضِ عنَّا

قدْ غفرنَا مَا كانَ منكَ وبقيَ مَا كانَ منَّا

قيل: إن بعض الأحباب عاتب حبيبه عتابًا عنيفًا، فسُئل عن ذلك! فقال: هذا يدعي محبتي ويزعم أنه يهواني، وله منذ ثلاث ما رآني، والإلف لا يصبر عن إلفه أكثر ما يطرف الجفن بالعين، وقد صبرنا عنه ساعة ما هكذا فعل المحبين.

وقيل: كل بلاء عند المحبين الهجر دونه.

وقال بعضهم:

أنَا قدْ لذَّ لقلبِي كلُّ مَا ... يرتضيهِ في الهوَى إلَّا انقطاعِي

أنَّ ذلِّي فِي هواهُ عزتِي ... وافتراقِي في الهوَى عينُ اجتماعِي

ومن عدَّ أنفاسه مع الله لم يخاطب أحدًا من الخلق إلا وقلبه مع الحق، فأقواله كلها صدق، وأوقاته كلها جد، وهو في نعيم حضرته، ولو حمل الأثقال في خدمته، قال الله

تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، ومن أحبَّ مخلوقًا تحمَّل في محبته الكُلَف وهان عليه لأجله التَّلَف، فالعارف لا يطلب مع الله مؤنسًا سواه، ولا مشتكى إلا له، وكيف لا، وهو يسمع السِّرَّ وأخفى، ويسمع النجوى، ويرحم الشكوى، ويكشف البلوى، وفي معنى ذلك قال بعضهم:

أنتمْ حياتِي وأنتمْ مشتكَى حزنِي ... وأنتمْ في ظلامِ الليلِ سمَّارِي

فإنْ تكلمتُ لمْ أنطقْ بغيركمْ ... وإنْ سكتُّ فأنتمْ عقدُ أضمارِي

باب في أسماء الله تعالى السميع، البَصِير، الرَّقِيب، القَرِيب

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ففي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على المشبهين في قوله تعالى: ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلين، والكاف هنا زائدة وتقديره ليس مثله شيء.

وقيل: المثَل هو الوَصْف، فتقديره ليس كوصفه شيء قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠] أي: الوَصْف الأعظم، والسَّمِيع البَصِير صفتان قديمتان من صفات الله تعالى من غير جوارح جَلَّ وتعالى عن التَّكْيِيف والتَّشْبِيه، فلا يخفى عنه مسموع، ولا يحجب عنه موجود، وهو سبحانه يرى الأشياء عند وجودها، ويسمع الأصوات عند ترديدها بالإدراك القديم من غير تجدد ووصف له جَلَّ وعلا، وهو القريب الناظر الرائي السميع السامع الذي لا يفوته شيء، وهو القريب بعلمه ورؤيته وسمعه، فهو مع جميع خلقه، فهذا هو المعنى لقوله ﷻ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، وهو القريب من السائلين، فيجيب الدعاء ويسمع النداء، وهو القريب بلطفه من المحسنين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وهو القريب المقرب لأحبابه، فيشاهدون بأسرارهم جلاله وجماله، ويجدون أنسه وإقباله، والمراقبة علم القلب مع اطلاع الرب، فما دام هذا العمل في القلب فالعبد مراقب.

من ثمرات المراقبة: ترك المخالفة حياءً من نظر الله تعالى، وسهولة العبادات تنعمًا بقرب الله تعالى، ورضي بجميع أحكام الله، وعدم الالتفات إلى غير الله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق:١٤] فهذا تهديد وتخويف، وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ

حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨، ٢١٩] فهذا ترغيب وتخويف، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وفي الصحيح في معنى الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[٢٨].

قال سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيُّ ﷺ: لم يتزين القلب بشيء أفضل من علم العبد أن الله يراه حيث كان.

وقيل لبعضهم: بماذا يستعين به العبد على حفظ بصره عن المحارم؟ قال: بأن يعلم أنَّ الله يراه، ومن غلبت المراقبة على قلبه لم يضيع في البَطَالة وقته، بل يبذل في الخدمة جهده.

حُكي أنَّ سَلْمَان الْفَارِسِيّ ﷺ كان يصلي في الليل ساعة، ثم يقعد فيقول لنفسه: قد اسْتَرَحْتِ فقومي، ويعود إلى الصلاة فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر.

وقيل: من تحقق في المراقبة أن قلبه مُشْتَغِل بالله، فهو في الظَّاهِر مع الخَلْقِ، وفي البَاطِنِ مع الحَقِّ.

وحُكي عن سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيِّ ﷺ أنه قال: إن لي منذ كذا، وكذا سنة أخاطب الحق سبحانه وتعالى في المعنى، والناس يظنون أني أخاطبهم ﷺ شعر في المعنى:

وأميـــلُ نحـــوَ مُحـــدِّثي لـــيرَى أنِّي أعــــرتُ حديثــــهُ عقــــلِي

وشــغلتُ عــنْ فهــمِ الحــديثِ ســوَى مَــــا كــــانَ فيــــكَ فإنــــهُ شــــغلِي

وفي المعنى أيضًا:

ولقــدْ جعلتــكَ في الفــؤادِ محــدِّثي وأعــرتُ ســمعِي مَــنْ أرادَ جُلــوسِي

فالجـــسمُ منِّـــي للجليـــسِ مـــؤانسٌ وحبيـــبُ قلبِـــي في الفـــؤادِ أنيـــسِي

قال بعض العارفين: قُرْب الله تعالى بالعلم لا بالانتقال، وبُعْدُه بالعز لا بالاعتزال، وغيبته بالاحتجاب لا بالارتحال، وقيامه بالعدل لا بالاعتدال.

وأنشد بعض العشاق:

(٢٨) رواه البخاري (٤٨).

أَيَـا غَائِبًـا لَمْ يغِـبْ حُـسْنهُ وَيَـا حَـاضِرًا لَـيْسَ بِالحَـاضِرِ
بعـدتَ فقرّبـكَ الـشوقُ لي وغِبـتَ فَـما غِبْـتَ عَـنْ نَـاظِرِي

قال بعض العارفين: من كان خطابه مع مولاه القريب المجيب شغله مولاه عن كل حبيب ورقيب، وغاب بأنسه عن كل حظٍّ ونصيب، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠] أي: لا تجهر جهرًا تسمعه الأعداء، ولا تخافت بقراءتك عن الأولياء، وكان الصِّدِّيق يقرأ في ورده سرًّا وعمر يقرأ جهرًا فسألهما النبي ﷺ عن ذلك، فقال أبو بكر ﷺ: أسمع لمن أناجي، وقال عمر ﷺ: أوقظ الوَسْنَان واطرد الشيطان.

وقيل: العارف إن تكلم هلك، والمحبُّ إن سكت هلك، ومن غيرة المحبين على أسرارهم مع الحبيب هربوا إلى الخلوات واستأنسوا بالوحدة في الفَلوات، فمن كان أُنسه بحضور الخلق فهو واقفٌ مع الخلق.

قال إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ ﷺ : كنت أنظر الناس في الطواف يزدحمون، فأنتظر أن يخلو لي المطاف مرة إلى أن جئت ليلة، فلم أجد أحدًا حول البيت فطفت وحدي وأعجبني ذلك، فكُشِف لي فنظرت، وإذا حول البيت خلق كثير يطوفون، وإذا بشيخ يقول لي وقد تعلق بي: يا إبراهيم هؤلاء سبعون ألفًا طائفون كلهم طلاب الخلوة طامعون بمثل ما أنت طامع، ثم أنشد:

حبيـبٌ إذَا أثنيـتُ والنـاسُ كُلهـم عـلَى حبـهِ فالكـلُّ يمدحـهُ معِـي
عـلَى حبـهِ قـدْ أجمعُـوا غـيرَ أنهـم فريقـانِ مـدعُو إليـهِ وَمُـدَّعِي
خلعـتُ عـذارِي بعـدمَا كنـتُ كاتمًـا لـسرِ الهـوَى حتَّـى أبَاحتْـهُ أدمُعِـي
ومَـا العـارُ إلَّا سـلوةٌ عَـنْ جمَالِـه وذَاكَ حَـديثٌ لَا يـَمُرُّ بمـسمعِي

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع قومًا يرفعون أصواتهم بالدعاء فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، اللهم ارْزُقْنَا الحَيَاءَ منك في السِّرِّ والجَهر فأنتَ المُنفَرد بالجَلالِ والقَهرِ يا عَظيم سُبْحَانَكَ»[٢٩].

---

(٢٩) رواه البخاري (٢٧٧٠)، وأحمد (١٨٦٩٩)، دون الجزء الآخر منه.

الأصل السادس
في الأسماء الدالة على القدرة
القدير، القوي، المتين، القهار، المغيث، الجبار

وهو أصل عظيم يرجع إليه سائر أسماء الأفعال، وهو أحد معاني أسماء الجلال والملك والكمال، وثمرة معرفة هذا الأصل التوكُّل على الله، والاكتفاء به في طلب كل مرغوب، ودفع كل مَرْهُوب ودوام الخوف والوَجَل من سطوة الله تعالى وقهره، والحذر من مفاجأة مكره، والمسارعة لامتثال أمره، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون، والجاحدون علوًّا كبيرًا.

باب في اسم الله ﷻ القَدِير

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٢٠] القُدْرَةُ صفة قديمة باقية من صفات الله ﷻ، وكل شيء سوى الله ﷻ مخلوق غير كلامه القرآن، فإنه منزل على رسوله ﷺ، وكل مخلوق أوجده بقدرته سبحانه، وهو قادر على أمثال ما خلق أن يخلق أمثالهم من غير نهاية، وقادر على إفناء ما خلق، وإعادة ما أفناه.

والقَدِيرُ مبالغة من القَادِر، والمقتدر الذي مقدوراته لا تتناهى، فجميع الأغيار والآثار من آثار قدرته، وأفعال العباد كسب لهم، والخالق لها هو الله، قال تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، والمقتدر هو الذي يوجد أفعاله بقدرته، فتقع مقدرة على وفق مشيئته.

ويقال: المقتدر الذي بين شواهد قدرته بما أبدع من صنعته، والقوي ذو القوة والقوة القدرة فلا يفوته شيء.

والقوي المتين القادر هو الذي لا تنقص قدرته ولا تضعف قوته، والقَاهِر القَهَّار هو الغالب الذي يغلب القاهر القادر هو الذي يفعل ما يشاء قهرًا، وإن كَرِه العباد.

المُقِيتُ القادر قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾ [النساء:٨٥] أي: قادرًا. وقيل: المُقِيت خالق الأقوات، ومن عرف أن الله تعالى هو القادر خاف من سطوته واكتفى بتدبيره ونصرته، وغاب عن شهود كسبه، فلم يخالط شيئًا من أعماله، ولم يعجب بشيء من أحواله، ولم ير لمخلوق أثرًا في نفع ولا ضرر، ولم يبق في قلبه لشيء من الأكوان

أثر.

حكي أنه كان لصَفْوانَ بن مُحْرِز بن أخٍ فحبسه السلطان، فتشفع بغالب أهل مملكته، فلم يحصل له فرج، فرأى صَفْوَان في منامه قائلاً يقول له: ائت الأمر من بابه، فقام بالليل وصلى ركعتين وسأل الله تعالى، وإذا بابن أخيه على بابه فسأله عن حاله، فقال له: السلطان أطلقني في هذه الساعة، وقال لي: اذهب إلى عملك.

ومن الأسماء الدَّالة على القدرة الجَبَّار؛ لأن معناه الذي يفعل ما يشاء جَبْرًا وقَهْرًا. وقيل: الجَبَّارُ المُتَعَالي عن الوصول إليه، فلا يصل العقل إلى إدراك حقيقته، بل يُفْضِي إلى ذُلٍّ وخُضُوعٍ والهَيْبَةُ والجَلالُ والكِبْرِياءُ من صفته، والتَّنْزيه عن النَّقَائِض حقه.

وقيل: الجَبَّارُ الذي قَهَر المتكبرين بانتقامه.

وقيل: الجَبَّارُ الذي لا تأخذه رَأْفَةٌ في تعذيب الكفار، ولا يُضِرُّه إعراض الغافلين، ولا ينفعه إحسان العاملين، ولا يناقش في الفعل، ولا يطالب بالعلة، وليس لأحد عليه حَقٌّ ولا حُكْمٌ، وليس فوق أمره أَمْرٌ، العزيز من قربه وإن كان ذليلاً، والذَّليلُ من حجبه، وإن كان جليلاً.

وقيل: الجَبَّارُ الجَابِرُ للكسير، ويصلح الخَلَل، ويغفر الزَّلَل، وهذا الاسم يكون من أسماء الجمال.

وقيل: الجَبَّارُ هو الذي جبر مَفَاقِر عباده، وهو على هذه المعاني المتقدمة من أسماء الجلال، وثمرة مشاهدة الجلال الحيرة والدهشة، والعلم بأن العباد ليس لهم غير التوحيد بشهود الأفعال، والاعتراف بالعجز عن إدراك الجلال، وأنه لا يصيب العبد منه إلا إحسانه، اليوم توفيقه وعرفانه، وغدًا غفرانه ورضوانه، كما قيل:

وَلَا وَصْلُ إِلَّا مَا تَزودُ نَاظِري وَلاَ وَصفُ إِلَّا بالشهودِ وبالذكرِ

ومن عرف أن الله هو الجبار الجابر للكسير، والخلل، والمفاقر استراح من كل فكر وتعب، فإن عرضت له حاجة علم أن الله ميسرها بكرمه ونواله، وإن عارضته شدة علم أن الله كاشفها بمَنِّه وأفضاله قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

قال بعض العارفين: كل نعمة أتتك، فهي من الله وأنت تدور بالشر على أبواب

العبيد. ويقال: من عرف الله لم يبال بكثرة عياله، وقلة ماله ثقة بكرم الله وأفضاله.

قيل: إن بعض الصالحين خرج هاربًا من كثرة العيال، فتمثل له ملك في صورة رجل ومعه طائر، فقال له: اتسقي هذا الطائر حتى يروى وأعطيك دينارًا، فوقف يستقي من البئر ويسقي الطائر وهو يشرب حتى انقضى النهار، ولم يُرْوَ الطائر، فقال له: إنما أنا ملك، وقد بينت لك أنَّك لا تقدر على أنْ ترزق طائرًا، وإنما الرَّزَّاق هو الله، فارجع إلى عيالك.

ويروى أن عيسى ﷺ قال: من كان يظن أن سعيه وحرصه يزيد في رزقه، فليزد في طوله أو عرضه، أو في عَدِّ بنَانه، أو يغير لونه، ألا وأن الله خلق الخلق وبسط الرزق، فمضى الأمر على ما خلق وقسم، فليست الدنيا معطية أحدًا شيئًا ليس له، ولا مانعة أحد شيئًا هو له، فعليكم عبادة الله تعالى.

وقال ﷺ: بحق أيضًا أقول لكم لا الدنيا تريدون ولا الآخرة، قالوا: وكيف ذلك يا روح الله؟ قال: لو أردتم الدنيا لأطعتم ربها الذي بيده مفاتيح خزائنها، ولو أردتم الآخرة لأطعتم ربها، ولكن لا هذه تريدون ولا هذه تريدون، وكان يقول ﷺ: بحق أقول لكم ما لكم في العالم من بيت إن أنتم في الدنيا إلا عابرو سبيل، فاتخذوا مساجد الله بيوتًا، واتخذوا بيوتكم كمنزل الأضياف، معناه اشتغلوا بعبادة الله، ولا تشتغلوا بزينة البيوت وادخار الأموال.

وفي بعض كتب الله المنزلة: «عبدي تريد وأريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن رضيت بما أريد، كفيتك كما تريد، وإن لم ترضَ بما أريد، أتعبتك فيما تريد، ولا يكون إلا ما أريد».

ويروى أن موسى ﷺ قال: «يا رب دلني على عمل إذا عملته رضيت عني، فأوحى الله تعالى إليه يا ابن عمران رضاي في رضاك بقضائي».

قال عَبْدُ الوَاحِد بْنُ زَيْد: غاية الرِّضَا من العبد النظر إلى وجه الله، والاعتراض على القضاء عقوبة عاجلة.

وقَالَ ذُو النُّونِ المِصْرِيُّ ﷺ: ثلاثة من علامات الرِّضَا: تَرْكُ الاختيار قَبْلَ الرِّضَا، وعَدَمُ المداراة بعد القضاء، وهَيَجَان الحُبِّ وقت البلاء، اللهم أرضينا بقضائك، وصبرنا على بلائك، وأَوْزِعنا شكر نعمائك، وهَبْ لنَا ما وهَبْتَ لأوليائك، فإنه لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بك.

الأصل السابع
في الأسماء الدالة على الإرادة والمشيئة وقصد الأفعال

وهو أصلٌ عظيمٌ تتفرع منه أسماء كثيرة، فإن إرادة الإيجاد تسمى إرادة ومشيئة، وإرادة الإكرام والإنعام، والتقريب والاختصاص تسمى رأفة ورحمة، ورضا ومحبة، ومودة وولاية، واختيارًا واصطفاء، وكرمًا وبرًّا، وإرادة الانتقام والإبعاد بغضًا وسخطًا، وعداوة وغضبًا، والإرادة واحدة، وهي صفة قديمة من صفات الله تعالى يريد فيها الخير، والشر، والنفع، والضر، والإيمان، والكفر، والطاعة، والمعصية، والربح، والخسران قال الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان:٢]، فلا يكون إلا ما يريد، وإنما اختلفت هذه الأسماء لاختلاف آثار الإرادة، فهي صفة واحدة وآثارها مختلفة، ولكل أثر من آثارها اسم؛ ولمعرفته تختص بها، وقد تسمى آثار الإرادة بذلك الاسم فيسمى الإكرام رحمة، ويسمى الإبعاد سخطًا، وشرح ذلك يطول.

باب في اسم الله ﷻ الرحمن، الرحيم

قال الله ﷻ: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] الرحمة إرادة الأنعام، وقد تسمى النعمة رحمة؛ لأنها أثر الرحمة، قال الله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ﴾ [الروم:٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى:٢٨]، ويسمى المطر رحمة؛ لأنهَ أثر رحمة، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]؛ لأن محمدًا ﷺ كانت بعثته نعمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة عاشوا به في الدنيا حياة طيبة بما رزقهم الله من الطيبات، وبما وفقهم له من الطاعات، وفي الآخرة لهم النجاة والدرجات العليا، وهو ﷺ نعمة للكفار في الدنيا خاصة؛ لأنهم يعجل لهم العذاب، كما كان يعجل على كفار الأمم الذين كانوا قبل بعثه.

ورُوي عن ابنُ عَبَّاس ﷺ أنه قال: الرحمن الرحيم اسمان رقيقان أحدهما أَرَقُّ من الآخر.

ويقال: الرحيم مريد الإحسان، والرحمن للمبالغة.

وقيل: الرحيم المحسن في الدنيا، والرحمن في الآخرة.

وقيل: الرحيم معطي النعم الظاهرة، والرحمن معطي النّعم الباطنة.

وقيل: الرحيم المنعم على الأشباح، والرحمن المنعم على القلوب بالإيمان والأمان.

وقيل: الرحمن معطي النعم، والرحمن دافع البلاء والنقم.

فإن قيل: ما معنى اسمه أرحم الراحمين وخير الراحمين، وفي الوجود آلام ومصائب، فالجواب من أوجه ثلاثة:

الأول: أن الله تعالى أراد أن يعرف عباده بسطوته وانتقامه؛ ليحذروه، وكما عرفهم كرمه وإكرامه؛ ليرجوه، وهو الفعَّال لما يشاء، فالآلام والمصائب تدل على اسمه القهار المنتقم.

والوجه الثاني: أن معنى اسمه أرحم الراحمين أن يحسن إلى من يشاء إحسانًا لا قدرة لغيره عليه، فليس لأحد قوة على إحسانه أن يحسن مثله، ولا أكثر إحسانًا، ولا نفعًا من الله. وقيل: ما من مصيبة إلا وفيها مصلحة للعبد في الدنيا والآخرة، كما ورد عنه ﷺ: «**ما قضى الله على عبده بقضاء إلا وكان فيه الخيرة**».

قال أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيّ: وهذا لا يَطَّرِدُ على أهل السُّنَّة، فإنَّ الله تعالى له أن يفعل ما يشاء، وليس عليه رعاية الأصلح.

ويقال: في الحَفِيّ هو الرحيم، قال الله تعالى إخبارًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾ [مريم:٤٧] أي: رحيمًا.

قال ابن العربي: الحَفِيُّ، البَرُّ الوَصُول.

وقال ثعلبة: الحَفِيُّ، المُعْتَنِي بالأمر. وقال الأَزْهَرِيُّ: الحَفِيُّ العَالِم، ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف:١٨٧] أي: عالم بها.

وقيل: هو إحفاء المسألة، والله تعالى يسأل سؤال تشريف وسؤال تعنيف، قال الله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:٢٤] هذا سؤال تعنيف.

وقيل: الحَفِيُّ هو الفَرِح، والله تعالى يَفْرَحُ بتوبة عبده المؤمن وهو معنى الرحمة، والرِّضَا.

وقيل: الحَفِيُّ الحاكم دَافِعُ الآفات.

والبَرُّ بفتح الباء المُحْسِنُ، وبكسر الباء الإحسان، والحق ﷻ هو البَرُّ الرحيم ذو البِرِّ والرَّحمة، وأكبر من العباد هو المطيع لله ﷻ؛ لأنه محسن إلى نفسه قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء:٧]. ويقال: البَرُّ من العباد من تراه في فرض يؤديه، أو نفل يعمل به والرءوف الرحيم ذو الرحمة الواسعة قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] معناه: لو شئت لرحمت الكل إلا إني شئت رحمتي للمتقين للمؤمنين.

ويقال: رَأَفَ يَرْأَفُ ويَرْأُفُ بفتح الهمزة وضمها في المستقبل.

والحنَّان الرَّحيم أيضًا قال الله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم:١٣] أي: رحمة.

وسُئل الإمام عَلِيّ -كرم الله وجهه- عن اسمه الحنَّان، فقال: هو الذي يقبل على من أعْرَضَ عنه، والمَنَّانُ: هوا لذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، والصبور المريد للأميال والتأخير فلا يعجل بالعقوبة، وقد ورد الصبور في حيث أبي هريرة المشهور، والحليم المريد لإسقاط العقوبة أو تأخيرها، والعَفُوُّ المريد لمحو الزلة والتجاوز عنها بكرمه، والغَافِرُ هو الساتر ومنه سمي المِغْفَر لستر الرأس، ومغفرة الله تعالى للذنوب إرادة الستر والمسامحة بفضله، والغَفُور والغَفَّار للمبالغة.

وفي الحديث أنَّ النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، وقال لأصحابه: «أتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قَالَ رَبُّكُمْ أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى فَلَا يُشْرَكَ بِي غَيْرِي وَأَنَا أَهْلٌ لِمَنْ اتَّقَى أَنْ يُشْرِكَ بِي أَنْ أَغْفِرَ لَهُ، فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ»[٣٠].

وثمرة معرفة رحمة الله تعالى: حُسْن الظَّنِّ بالله والرجاء في كرمه، وربما يكون الرجاء محمودًا في قبول طاعة عملها العبد أو توبة من زلة أقلع عنها، فإما الطبع مع التفريط في الواجبات والإصرار على الزَّلاَّت، فهو غرور وطمع، ومن ثمراتها الرحمة لعباده والصفح عنهم والرفق بهم، كما ورد في الحديث «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[٣١].

قال خلف المقدسي: ورد عليَّ فقير فمرض، فخدمته أيامًا ثم غبت عنه فأتيته معتذرًا، فقال لي: لا ألومك فإن لي من يؤنسني ولا ينساني، فلما مات جهزته في كفنه

---

(٣٠) رواه الترمذي (٣٢٥١)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٩).

(٣١) رواه البخاري (١٢٠٤).

فوجدته طويلاً، فقطعت منه قطعة وكفنته ودفنته، فرأيت في المنام قائلاً يقول لي: بخلت على وليّ الله بخرقة، فلا حاجة لنا بكفنك، وأصبحت فوجدت الكفن بجانب البيت.

ومن ثمراتها الاكتفاء بالله في المهمات، فإنه أرحم الراحمين.

وقيل: من وصل إلى بساط المعرفة لم يحسن أن تكون له حاجة إلا إلى الله.

وقيل: لبعضهم ألك حاجة؟ فقال: لا حاجة لي إلا لمن يعلم حاجتي.

وقيل لبعضهم: إن المشايخ قد اجتمعوا؛ ليقفوا إلى السلطان في فلان أفلا تذهب معهم؟ فقال: لم لا وقفوا على باب أرحم الراحمين، وقد يرحم الله العبد بعد اليأس كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى:٢٨] وفي معنى ذلك:

عَلَى قدرِ مَا لاقيتُ فِي الهجرِ مِنْ قبلُ ... تلـذُّ إذَا مَـا أنـتَ سـاعدكَ الوصـلُ

وقيل: إن بعضهم رُؤي بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: وزنت أعمالي فتساوت، فإذا بصرة فيها كف تراب ألقيته في قبر مسلم، فوقعت في كفة الحسنات فرجحت، وقد يمهل الله العبد ومراده إصلاحه، وردُّه إلى بابه؛ لأنه عبده من جملة أحبابه.

قال مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: كان بجوارنا رجل مُسْرِف على نفسه في العصيان، فاجتمع الجيران وشكوا منه، فقلنا له: ارحل عنا، فقال: لا أرحل عن مُلْكي، فقلنا له: نشكوك إلى السلطان، فقال: ما أبالي وكان له وجاهة عند السلطان، فقلنا: ندعو عليك، فقال: إن الله ارحم الراحمين وهو أرحم بي منكم، قال مالك: فلما كان الليل وقفت أصلي وهممت أن أدعو عليه، فهتف بي هاتف، وقال: لا تدع على الفتى، فإنه وليّ من أولياء الله تعالى، فلما أصبحت أتيت إليه وأخبرته بذلك، فتاب إلى الله ﷻ، وسافر إلى مكة، وأقام بها إلى أن مات.

ويُروى أن إِبْرَاهِيم الخليل ﵇ كشف الله له عن ملكوت السماوات والأرض، فرأى عاصيًا فدعا عليه فأهلكه الله، ثم رأى ثانيًا وثالثًا، فدعا عليهما فأوحى الله إليه: «قف يا إبراهيم فلو أنَّا أهلكنا كل عاصٍ لم يبق منهم أحدٌ ولكنا بحِلْمنا لا نعذبهم فإمَّا أن يتوبوا، وإمَّا أن يُصِرُّوا فلا يفوتنا منهم شيء».

وقيل: إنَّ رجلاً قال لبعض الأنبياء: كم أعصي الله ولا يعذبني؟ فأوحى الله إلى ذلك النبي بأن يقول لفلان: أنا أنا، وأنت أنت.

وقيل: إن بعضهم رُؤي في المنام، فقيل له ما فعل الله بك؟ قال: أعطاني كتابي، فمررت به بزلة استحييت أن أقرأها، فقيل لي: «اقرأها، فقلت: إلهي لا تفضحني، فقال لي ﷻ: حين فعلتها لم لا استحييت مني أن أفضحك، فكيف أفضحك الآن وأنت تستحي مني».

قال بعض الصالحين: يومًا إلهي أبطأت بالتوبة عليَّ، فهتف به هاتف: ما أبطأ من عاش، وإنما أبطأ من مات ولم يتب.

باب في اسم الله ﷻ الوَلِيِ الودُود

قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ﴾ [البروج:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨] المَوَدَّةُ هي المَحَبَّةُ، والوَدُودُ المُحِبُّ، وهو صحيح، قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، ومحبة الله تعالى للعبد إرادة تقريبه وإكرامه، ومحبة العبد لله معنى يجعل الله محبته في قلبه، وهو تعلق الهيبة والأنس يعرف بآثاره ويظهر بأنواره، وهو الذي يقطع الوساوس ويلذ بالخدمة، ويسلي عن المصائب، ويبعث على إيثار الحق على كل شيء، ويُلْهِج اللسان بالذكر، ويعلق القلب بالمشاهدة.

ويقال: المحب ما زال على ربه بُكُلِّيته فبدنه للخدمة، وقلبه للذكر، وروحه للمحبة، وسره للمشاهدة، فهو أبدًا عديم القرار، فقيد الاصطبار لا يسكن أنينه ولا يهدأ حنينه.
ويقال: الحُبُّ كَامِن في الفؤاد، ككمين النار في الزِّناد إن قدحته أَوْرَى، وإن تركته توارى.

وفي الصحيح: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»[٣٢].

وقال في البعض مثل ذلك، وسنة الله تعالى مع أحبابه مختلفة منهم من يحفظه من بدايته إلى نهايته، فهو ما زال في ظل عنايته.

حكي عن أَبِي يَزِيد البِسْطَامِيِّ ﷺ أنه قال لأمه: إني لأجد في قلبي حرارة، فهل أطعمتيني قط شيئًا حرامًا؟ قالت: ما أعلم ذلك غير أنني دهنتك مرة وأنت صغير بزيت من بعض الجيران، قال فاذهبي إليهم فتَحَالِّي منهم، فذهبت إليهم وأعلمتهم بذلك، فذهب عنه ما كان يجده في قلبه.

---

(٣٢) رواه مسلم (٤٧٧٢).

وحُكي عن أمه -رضي الله عنها- وهي حامل به أنها ما كانت تمد يدها إلى شيء فيه شبهة إلا انتفض من يدها وسقط منها.

ويُحكى عن سَهْلِ بْنِ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيِّ ﷺ أنَّ خاله مُحَمَّدُ بْنُ سَوَّارٍ لقنه وهو صغير أن يقول في سره الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي، فلازم هذا الذكر حتى فتح عليه وأحواله وكراماته مشهورة.

ويُحكي أنه كان قبل توبته على أحوال ذميمة، ثم إن العناية أدركته بالرحمة وردته إلى ما سبق له من القسمة، وهؤلاء وإن حسنت أحوالهم، فما زالت وحشة الابتداء مانعة لهم من الإعجاب كَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ﷺ وخبره المشهور: كان في حال تخليطه يصلي ويقول: أدع للصلح موضعًا، فلما مات قال: لقد جاء أوان الصلح.

ويُحكى أنَّ من الناس من كان صاحب مجاهدات ومنازلات ينزل منزلاً بعد منزل، ويتردد منهلاً بعد منهل كما قيل:

مازلتُ أنزلُ منْ ودادكَ منزلاً تتحيرُ الألبابُ دونَ نزولهِ

إلى أن تبيَّن لهم إعلام الفلاح، فاندرج المصباح في ضوء الصباح، فهو في راحة من التعب، ولو حملوا أضعاف ما كانوا يحملونه ما استحسنوا به كما قيل:

ولَمَا استبانَ الصبحُ أدرجَ ضوءه بأسفارِه أنوارُ تلكَ الكواكبِ

ومنهم من يكون مرفوقًا به، فيقرب من غير كد، ولا نصب، ولا جهد، ولا تعب هذا وصف المراد، وأما الأول فهو وصف المريد غير أن هذا الوصف قلَّ ما يدوم، وما أسرع لصاحب هذه الحالة، فقل ما يرى محب إلا وهو يندب إطلالاً، ويشكو أحوالاً وارتحالاً، ومن عد من الأحباب تخلف عن الأصحاب، وقطع الأسباب بملازمة الأبواب، وقارب الانتحاب، وواصل الليل والنهار، وساءل أحجار الديار، وتتبع آثار المزار، كما قيل:

كررْ حديثكَ لي عنْ بابةِ العلمِ فهوَ الشفاءُ لَمَا ألقاهُ منْ ألمِ
وسلْ هديت عريب الحيِّ عنْ خبري وصفْ لهمْ بعضَ مَا أشكُو منَ السقمِ
عسَى رسولٌ منَ الأحبابِ أوْ خبرٌ أوْ زورةٌ كلمامِ الطيفِ والحلمِ

إنْ كانَ عنْ ناظِرِي قدْ غابَ حسنكمْ فذكركمْ أبدًا في خاطِرِي وفمِ

هذا شرط الوفاء بملازمة الربع بعد الارتحال ومساءلة المنزل بعد الانتقال، والتسلي بالأثر عند عدم المشاهدة بالنظر، وتنغص العيش بعد الفرقة، فنسأل الله أن لا يقضي علينا بفرقة الأحباب إنه كريم وهاب.

قال الحسن صاحب كَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ﷺ: دخلت يومًا على كَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، فوجدته يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: وكيف لا أبكي إنه إذا جنَّ الليل واختلط الظلام، وخلا كل حبيب بحبيبه قام أهل المحبة على أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم، فيطلع الجليل سبحانه عليهم ويقول: «يا جبريل نظرت بعيني من تلذذ بكلامي، وصغى لمناجاتي، وإني لمطَّلِعٌ عليهم في خلواتهم أسمع بكاءهم وأنينهم، فأناديهم ما هذا البكاء الذي أسمعه منكم هل أخبرتم من أحد أنَّ حبيبًا يعذب حبيبه، وكيف يجمل بي أن أعذب أقوامًا عند الباب أجدهم في طلب مرضاتي، فبي أقسمت أنهم إذا وردوا عليَّ يوم القيامة جعلت هديتي لهم أن أكشف لهم الحجاب عن وجهي لينظروا إليَّ وأنظر إليهم».

ومعنى اسمه الوليُّ: هو المُتَوَلِّي أمور عباده بتدبيره، فهو المولى الموالي الكافي يعطي الكفاية وفوق الكفاية، وهو يتولى الصالحين بحسن العناية.

وقيل: الولي هو الحبيب، قال الله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقيل: الولي الناصر، قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال:٧٢] أي: من نصرتهم وولاية الله لعبده توفيقه وتأييده وتقريبه وإكرامه، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:١١] أي: ليس لهم من الله نصرة؛ لأنه يريد خذلانهم وإبعادهم، ولو ظهروا في وقت فإن مآلهم إلى النار، وهي غاية الخسران والبوار والولي من المؤمنين، فَعِيل بمعنى مَفْعُول؛ لأن الله تعالى قد تولاه برعايته، وزينه بحمايته، وأيده بكرامته، فيحقق آماله عند إشارته ويعجل مآربه عند خطراته حتى لو هَمَّ بفعل محذور حماه الله عن ارتكابه، أو جَنَحَ إلى تقصير ردَّه بسرعة إنابته.

وقيل: الوليُّ بمعنى فاعل؛ لأنه يحب الله ويطيعه، فأفعاله متوالية في الطاعات وهمته أبدًا في اكتساب الخيرات.

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول: «مَنْ آذى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»(٣٣).

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء:١١١] أي: ليس له أولياء يعتريهم خوف من الذل، وإنها يعتزون به سبحانه.

ومن علامة الولي أن يجعل الله له ودًّا في قلوب المؤمنين قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦].

وقيل: إن الله ينظر إلى قلوب أوليائه، فمن رأى له في قلبه محلاً أكرمه بحسن نظره، وبذلك أجرى سنته الكريمة.

حُكي أن بعض الوعاظ توفي فرُؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، وقال: إنك كنت يومًا تثني على مجلسك، فمرَّ بك ولي من أوليائي فاستوهبك مني؛ وإلا كنت معذبك.

وقال أبو عَلِي الدَّقَاقُ: إنَّ الوليَّ إذا مر ببلد غفر الله لأهلها بمرور الولي عليهم وببركاته.

وقال أبو عثمان المغربي: قد يكون مشهورًا، أو لا يكون مشهورًا.

قال سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيُّ: الولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة.

وقال يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيّ ﷺ: الولي ريحان الله في أرضه تشمه الصديقون، فتصل رائحته إلى قلوبهم، فيشتاقون إلى مولاهم.

قال إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ لرجل: يا أخي أتحب أن تكون لله وليًّا ويكون لك محبًّا؟ قال: نعم، قال: دع الدنيا عن قلبك، وأفرغ بنفسك وقلبك، وأقبل عليه ليقبل عليك ويواليك؛ لأن الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ يا موسى: كن لي كالطير الوحداني يأكل من رءوس الأشجار، ويشرب من ماء البحار، حتى إذا جنه الليل آوى إلى كهف من الكهوف استئناسًا بي واستيحاشًا ممن عصاني يا موسى: إني آليت على نفسي ألا أتمم لمدبر عني عملاً،

(٣٣) رواه البخاري (٦٠٢١).

ولأقطعن أمل كل مؤمل غيري، ولأطيلنَّ وحشة من استأنس بغيري.

وقيل: إن من أولياء الله من يكرمه الله بكرامات خارقة للعادة؛ ليزداد هو وغيره يقينًا وإيمانًا.

واعلم أن كرامات الأولياء تؤيد معجزات الأنبياء؛ لأن الولي إنما أكرمه الله تعالى ببركة اتباعه الأنبياء والإيمان، واتباع السنة.

قال أَبُو يَزِيْدَ ﷺ: كرامات الأولياء بالنسبة إلى معجزات الأنبياء، كَرَشْحِ الزِّقِّ، يعني كَزَقٍّ مملوء دهنًا أو عسلاً، فرشح كرامات الأولياء كرشحه.

وروى إِبْرَاهِيمُ الحَافِظُ أَنَّ النبي ﷺ بعث سرية وأمَّر عليهم الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فأتى بهم إلى البحر ودعا باسم الله الأعظم، فمشوا على الماء، ولم تبتل حوافر خيلهم، فرآهم عسكر كسرى، فهربوا، ومر عبد الله بن عمر في بعض أسفاره بقافلة، فاعترض لهم سبع فوقفوا، فتقدم إليه ابن عمر وطرده عن الطريق، وقال له: إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولواؤه لم يخف غير الله ما سلط عليه شيء.

ورُوي عن غِيَاثِ بْنِ بَشِيرٍ، أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ أنهما خرجا من عند رسول الله ﷺ ومع أحدهما عصاه وكانا بالليل، فأضاء رأس العصا كضوء السراج حتى وصلا إلى موضعهما.

وقال سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيُّ: من زهد الدنيا أربعين صباحًا ظهرت له الكرامات، فإن لم تظهر له، فإنه غير واصل في زهده، وقيل: كيف تظهر له الكرامات؟ قال: يأخذ ما يشاء من حيث يشاء.

ويقال: إنما المراد من الكرامات زيادة اليقين، فمن لم ير فَعَّالاً غير الله، فسواء عنده أن يرى فعلاً معتادًا، أو مخترقًا للعادة.

قال عَبْدِ الله بْنُ عَلِيٍّ: كان بعباده عبد فقير أسود يأوي إلى المواضع الخالية، فحملت معي شيئًا وطلبته؛ فلما رآني تبسم وأشار بيده إليَّ فرأيت الأرض كلها ذهبًا يلمع، ثم قال لي: هات ما معك وضعته وذهبت هاربًا.

وجاء الثوري يومًا إلى شاطئ الدِّجْلَة، فوجد الشاطئين قد التقيا، فقال: وعزتك وجلالك لا أجوزها إلا في زورق، فسافر كما قال، وحكى عن أَبِي تُرَابٍ النَّخْشَبِيِّ أنه سافر ومعه أربعون فقيرًا، فجاءوا فعدل بهم عن الطريق، وجاء بموز فأطعمهم، فقال فقير منهم: أنا لا آكل شيئًا؛ لأني عاهدت الله على ترك كل معلوم، وقد صرت معلومي، فقال: كل ما وقع لك.

وقال سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله: أكبر العلامات أن يبدل الله لك خُلُقًا مذمومًا بخُلُق محمود،

فقال بعض أصحابه: إني أتوضأ فيسيل الماء بين يدي قضبانًا من ذهب وفضة، فقال له: إن الصبي إذا بكى أعطي خشخاشة يلعب بها.

وقال سُرِّيٌّ السَّقَطِيُّ: كان لي طائر ينزل على يدي، فأقمت له خبزًا فيأكل على يدي، فجاء يومًا ففتت له الخبز، فلم ينزل فتذكرت أني أكلت ملحًا بأبْزار، فعزمت أن لا آكله مرة أخرى فنزل وأكل.

وقال بعضهم: كنت عند خير النساج فجاءه رجل، وقال له: إني كنت البارحة خلفك وقد بعت غزلاً وربطت الدراهم على طرفك، فحللتها وأنت لا تدري فبطلت يدي، فأومأ إلى يده فعافاه الله، وقال له: خذ هذه الدراهم ولا تعد إلى مثلها.

وقال أَبُو سَعِيدٍ الخَرَّازُ: سافرت إلى البادية أيامًا وأنا لا آكل ولا أشرب، فضعفت وقعدت فهتف بي هاتف: أيما أحب إليك شبع أو كفاية؟ فقلت: الكفاية، ثم قمت فمشيت اثني عشر يومًا لا أجد ضعفًا ولا تعبًا.

وقيل: كان سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيُّ إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوي، وكان حصل له زمن في آخر عمره، فإذا جاء وقت الصلاة نخلص حتى يتوضأ ويصلي، فإذا فرغ من صلاته عاد زمنًا كما كان.

ويُحكي عنه -قدس الله روحه- قال: توضأت يوم جمعة ومضيت إلى الجامع في أيام بدايتي، فوجدت الجامع مملوءًا من الناس والخطيب يهم أن يخطب، فأسأت الأدب وتخطيت رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست، فإذا عن يميني شابٌّ حسن المنظر طيب الريح، فلما نظر إليَّ قال: كيف تكون يا سَهْل؟ فقلت له: بخير ومِنَّة، وبقيت متفكرًا في معرفته بي وإنِّي لا أعرفه، فبينما أنا كذلك إذ أجدني حزقانًا وأردت الخلاء، فقال لي من نفسه: إنك حزقان بول! قلت: نعم، فنزع إحرامه عن منكبيه وغشاني به، وقال: اقض حاجتك وأسرع لتلحق الصلاة، ففتحت عيني، فإذا أنا بباب مفتوح وأسمع قائلاً يقول لي: لج الباب يرحمك الله، فولجت الباب فإذا قَصْر مشيد عالي البناء ونخلة قائمة، وإذا بجانبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد، ومنزل لإراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك، فأرقت الماء ثم اغتسلت وتوضأت، وتنشفت فسمعته يقول: إن كنت قضيت حاجتك فالحق الصلاة، فقلت: نعم فنزع الإحرام عني، وإذا أنا جالس في مكاني ولم يكن يشعر بي أحد، فبقيت متفكرًا في نفسي، فقامت الصلاة فصليت مع الناس، ولم يكن لي شغل إلا الفتى، فلما فرغ وخرج من الجامع تبعت الأثر، وإذا به قد دخل إلى درب،

والتفت إليَّ وقال: يا سهل ما أيقنت مما رأيت: قلت: بلى، قال: لج الباب، فإذا هو الباب الذي كنت فيه بعينه والقصر والمطهرة والنخلة، والمنشفة مبلولة، فقلت: آمنت بالله، فقال: يا سهل من أطاع الله أطاعه كل شيء يا سهل اطلبه تجده، فتغرغرت عيناي بالدموع، فمسحتها وفتحتها فلم أجده ولا القصر، فبقيت متحسرًا على ما فاتني منه، ثم أخذت في العبادة.

قال أَبُو عِمْرَانَ الْوَاسِطِيُّ: انكسرت السفينة فبقيت أنا وامرأتي على لوح أيامًا، وكانت حاملاً فولدت على اللوح، وشكت إليَّ شدة العطش، فقلت لها: اصبري فإن الله يرى حالنا، ثم رفعت رأسي، فرأيت رجلاً جالسًا في الهوى، ومعه سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر، فناولني فشربت أنا وامرأتي، فإذا هو شراب أحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فقلت له: من أين أنت يرحمك الله؟ قال: عبد لمولاك، فقلت: بم وصلت إلى هذا، قال: تركت هواي لمرضاته، فأجلسني في الهواء، ثم غاب عني فلم أره.

وقال بعضهم: بينما نحن بمدينة الرسول على ساكنها أفضل الصلاة والسلام نتذاكر كرامات الأولياء، وإذا رجل ضرير قاعد يسمع، فقال: أنا أحدثكم بشيء عجيب إني كنت أقطع الطريق إذ لقيت شابًا فقصدته لآخذ منه أثوابه، فقال لي: ارجع في حفظ الله، فأتيته فكرر عليَّ القول ثلاث مرات، فلم أرجع فأشار بإصبعه إليَّ من بعيد فسقطت عيناي، فقلت له: من أنت؟ فقال لي: أنا إِبْرَاهِيم الْخَوَّاص.

وقيل: كان إبراهيم بن أدهم له صاحب اسمه يحيى، وكان يتعبد في غرفة ليس لها دَرَج، وكان إذا أراد الوضوء وقف على باب الغرفة، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيطير في الهواء كالطير، فإذا توضأ وأراد طلوع الغرفة فعل كذلك.

وقال جَعْفَرٌ الحَدَّادُ: كنت بشيراز، وكنت أقتدي بأبي عُمَر الإِصْطَخْرِيُّ، وكان إذا خطر لي خَاطر أخرج إليه، فيخبرني بما وقع لي ويذكر لي جوابه من قبل أن أسأله، ثم ضعفت عن السفر إليه، وكان يرسل إليَّ من يخبرني عن الشيء من غير أن أسأله.

قال بعض الصالحين: مات عندنا فقير، فقمنا بالليل نغسله، فطلبنا سراجًا فلم نجد، وإذا بنور قد أضاء لنا من كُوَّةِ البيت حتى غسَّلناه، فلما انتهى غُسْله ذهب الضوء.

قال آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ: كنا بعَسْقَلَان، وكان بها شابٌّ يجالسنا فجاء يومًا يودعني،

فقال لي: إني أريد الإسكندرية، فخرجت أودعه وعرضت عليه دراهم فأبى أن يأخذها وأخذ كفًّا من الرمل فجعله في رَكْوَتِه وجعل عليه ماء من البحر، ثم قال لي: كل فأكلت سويقًا وسكرًا، فقال: من كان حاله مع الله هكذا لا يحتاج إلى دراهمك،ثم مضى عني، وهو ينشد ويقول:

حـرامٌ عـلَى قلـبٍ تعـرضَ للهـوَى يكـونُ لغـيرِ الحـقِّ فيـهِ نـصيبُ

وحكي عن إِبْرَاهِيم الْآجُرِّيّ أنه كان يومًا يوقد في النار عند الأتون، فجاءه يهودي وقال له: يا إبراهيم أرني آية أُسْلِم بها؟ فقال: انزع ما عليك فنزع أثوابه، ونزع إبراهيم أثوابه، وجعل أثواب اليهودي من داخل أثوابه ورماها في النار ودخل من باب الأتون وخرج من الباب الآخر، ثم أخرج الثياب فوجد اليهودي أثواب إبراهيم لم تمسها النار وأثوابه قد احترقت وهي من داخل الأثواب، فأسلم اليهودي.

وقيل: كان حَبِيبٌ الْعَجَمِيُّ تراه الناس يوم التَّروية بالبصرة ويوم عرفة بعرفة.

وقيل: كان الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ يومًا واقفًا على جبل من الجبال بمنى، فقال: لو أن وليًّا من أولياء الله تعالى قال لهذا الجبل: تحرك لتحرك، فتحرك الجبل، فقال له: اسكن فإني لم أردك لهذا.

وحُكي أنَّ أَبَا عَاصِمٍ الْبَصْرِيَّ كان في غرفة بالبصرة، وطلبه الحجاج بمكة، وكان عَامِرَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ يأخذ عطاءه، فلا يستقبله أحد إلا أعطاه منه شيئًا، فإذا هو وصل إلى أهله دفع لهم ما بقى من الدراهم، فيجدونها لم تنقص شيئًا.

وحكي عن أَيُّوب السَّخْتِيَانِيِّ أنه في بعض أسفاره كان معه جماعة، فعطشوا فقال لهم: أتسترون ما ترونه مني ما عشت؟ قالوا: نعم، فخطوا دائرة في الأرض، فنبع منها ماء فشرب القوم وتوضئوا منها.

وقال أَبُو سَعِيدٍ الخَرَّازُ: بينما أنا ماشٍ على ساحل البحر إذ رأيت فقيرًا عليه مرقعة ومعه رَكْوَة ومحبرة، فوقفت أتفكر في حمله المحبرة، وقلت له: يا فقير كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال لي: أعرف طريقًا عامة وطريقًا خاصة، فالعامة ما أنت عليه، والخاصة هكذا، وما زال ماشيًا على الماء حتى غاب عن عيني.

وقال الجُنَيْدُ ﷺ: دخلت مسجدًا بالشونيزية، فإذا به جماعة من الفقراء يتكلمون في

الكرامات، فقال فقير منهم: أنا أعرف رجلاً لو قال لهذه الاسطوانة كوني ذهبًا وفضة لكانت كذلك.

قال الجُنَيْد: فنظرت إلى الاسطوانة، فإذا هي نصفها ذهب ونصفها فضة.

وحُكي أنَّ سُفْيَان الثَّوْرِيّ وشَيْبَان الرَّاعِي حَجَّا، فتعرض سَبْعٌ للركب، فتقدم إليه شَيْبَان وعرك أذنه فبصبص الأسد وحرك ذنبه ومضى، فقال له سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال له شَيْبَان: لولا مخافة الشهرة لحملت زادي عليه.

وقال أَحْمَد الطُّوسِيُّ: كنت عند مَعْرُوف الكَرْخِي بمسجده ببغداد، فأتيته من الغد فرأيت في وجهه أثرًا، فقلت له: ما هذا الأثر الذي لم أجده في وجهك بالأمس؟ فقال سل عما يعنيك، فقلت: بمعبودك إلا ما أخبرتني، فقال: إني صليت البارحة هنا، ثم مضيت إلى مكة فطفت بالبيت، ثم ملت إلى زمزم لأشرب، فزلقت، فأصبني هذا الأثر.

قال بعض الصالحين: مات منا فقير في مركب فجهزناه وكفناه وصلينا عليه وأردنا أن نلقيه في البحر، وإذا البحر قد جف فنزلنا وحفرنا له ودفناه وطلعنا المركب، فعاد البحر كما كان.

وقال بعضهم: أصاب الناس جوع بالبصرة، فاشترى حبيب العجمي طعامًا بالدين وفرقه على المساكين، فلما حل الدين وضع كيسًا فارغًا تحت رأسه ونام، فأصبح ممتلئًا دراهم فوفى منه الدين.

وحُكي أن أَبَا مُعَاوِية الأَعْمَش قد ذهب بصره، وكان إذا فتح المصحف عاد إليه بصره، وإذا فرغ من القراءة ذهب بصره كما كان.

وقال أَحْمَد بْنُ القَاسِم: كنت بالليل فوق السطح، وإذا بِبِشْر الحَافِي يمشي وعليه سجادة، فمشى على الماء، ومضى إلى عند مَعْرُوف الكَرْخِي، فقعدت أنتظره، فلما عاد مشى على الماء ثانيًا، فنزلت إليه وقبلت رجليه، وسألته الدعاء، فدعا لي وقال: استر عليَّ، فلم أتكلم بشيء حتى مات.

وقال إِبْرَاهِيم الخَوَّاصُ: عطشت في بعض الأسفار، فوقعت مغشيًّا من العطش، وإذا بماء قد رش على وجهي، ففتحت عيناي وإذا أنا برجل حسن الصورة على دابة شهباء معه ماء، فسقاني وأردفني على دابته، فما سرنا إلا قليلاً، ثم رأيت نخيل المدينة، فقال لي: أنزل وسلم على رسول الله ﷺ، وقل له: الْخَضِرَ يسلم عليك.

وقال أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الحَوَارِيّ: مرض ابنُ السَّمَّاكِ، فأخذنا قارورته ومضينا بها إلى طبيب نصراني، فلما كنا ببعض الطريق استقبلنا رجل حسن الوجه، طيب الرائحة، نقي الأثواب فقال لنا: أتستعينون بعدو الله على وليِّ الله، ارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له: ضع يدك على الوجع، وقل: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥]، ثم غاب عنا، فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك وأخبرناه، فقال: ذلك الرجل هو الخَضِرَ عليه السلام، ثم وضع يده على الوجع وقرأ الآية، فعوفي من وقته.

وقال محمد بن حنيف: جئت إلى بئر في البادية؛ لأشرب منها، فوجدت صبيًّا يشرب، فلما ذهب الصبي وجدت الماء قد بعد عني، فقلت: إلهي ما محل هذا الصبي عندك، فسمعت قائلاً يقول: جربناك ما تصبر ارجع إلى البئر، فإذا الماء قد طلع، وسمعت قائلاً يقول: إن الصبي جاء بلا رِكْوَة وأنت جئت بركوة، فشربت وملأت رِكْوَتي وصرت أشرب منها وأتوضأ إلى المدينة، فلما رجعت دخلت إلى الجُنَيْد، فقال لي: لو صبرت ساعة لنبع الماء من تحت رجليك.

وقيل: إنَّ جماعة أنكروا وقوع الكرامات من الأولياء، ومذهب أهل التَّحْقيق أنها جائز وقوعها ومنكرها جاهل، فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه عنا إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

ويحكى عن أبي القَاسِم الجُنَيْد قال: مرض أستاذي سُرِّيُّ السَّقَطِيُّ، فلم يعرف لعلته دواء ولا علمنا لها سببًا، فوصف لنا طبيب حاذق، فأخذنا القارورة ومضينا بها إليه، فنظر فيها الطبيب، ثم قال: أعياني وصف هذه العلة وإني متفكر في أمرها وجعل ينظر في القارورة، وقال: أراه بول محب قطع الخوف كبده.

قال الجُنَيْد: فصعقت وأغمي عليَّ ووقعت القارورة من يدي، ثم رجعت إلى سُرِّيّ فأخبرته بما وقع فتبسم، ثم قال قاتله الله ما أحذقه، فقلت له: يا سيدي تتبين من البول المحبة؟ فقال لي: نعم.

الأصل الثامن

الدال على الكلام

الكلام صفة قديمة من صفات الله

وصفات الله تعالى لا تليق إلا به جلت عن صفات المخلوقين ﷻ ما في صفات الخلق يشبه صفاته والقرآن والكتب المنزلة كلامه، فهو الآمر الناهي المخبر الصادق المعلم الداعي الحكيم الملهم للصواب والحكمة.

وقد ورد في الحديث الغيور، وهو بمعنى الناهي عن الفواحش.

وقيل: المعاقب عليها، وكلام الله محفوظ في الصدور، مكتوب في المصاحف، مقروء بالألسنة ولا يجوز الفكر في كيفية الصفات، وقد كلم الله موسى عليه السلام ومحمدًا ﷺ بغير واسطة قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: ١٦٤].

وثمرة معرفة الكلام تصديق الأخبار، وامتثال الأوامر، واجتناب المنهيات، والتلذذ بسماع الخطاب، ورجاء الوعد والخوف من الوعيد، والعارف عند سماع القرآن كأنه يسمعه من غير واسطة قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، وقال تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً﴾ [الزمر:٢٣] يصدق بعضه بعضًا مثانٍ تكرر فيه الأمثال والقصص، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم عند سماع الوعيد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند سماع وعده، والترغيب في فضل الله وعفوه ورحمته وجزيل مواهبه.

باب في اسم الله ﷻ المؤمن، المهيمن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ﴾ [الحشر:٢٣]، والإيمان هو التصديق، والله هو المؤمن من المصدق لنفسه لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨] شهد لنفسه بالوحدانية قبل شهادة خلقه في كتبه المنزلة على رسله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ [النساء:١٢٢].

وقيل: المُؤمِنُ المُصَدِّقُ بعلمه وقوله وفعله؛ لأنه علم بوحدانيته، وأخبر بذلك وأظهر من بدائع أفعاله ما يدل على توحيده.

وقيل: المؤمِنُ لعباده المؤمنين يعلم بصدقهم، ويقول: لهم صدقتم.

وقيل: المؤمِنُ المصدق لوعده بإنجاز موعوده.

وقيل: المؤمِنُ العالم بكل شيء، فالحقائق مكشوفة لديه.

وقيل: المؤمِنُ الهادي لمن يشاء، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾.

وقيل: المؤمِنُ الذي يؤمِّن من يشاء من المخاوف أمن أولياء في الدنيا من نزغات الشيطان فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢]، فإما أن يسلموا من العصيان، وإما أن يتداركوا بالغفران.

واسمه المُهَيْمِنُ، قال: هو المؤمن المصدق أيضًا في قول الحَسَنِ البَصْرِيِّ وغيره وأصله مُؤَيْمِن، ثم أبدلت الهمزة بهاء.

قال قتادة والكِسَائِيّ وغيرهما: المهيمن الشهيد الذي شهد لنفسه بالوحدانية قبل شهادة خلقه بقوله: ﴿شَهِدَ اللهُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقيل: الشاهد لنفسه مقدمًا، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]، أي: شاهدًا بصدقه.

وقال عِكْرِمَةُ: المهيمن هو الدال المبين الذي أوضح الحجج.

قال ابْنُ عَبَّاسٍ: المهيمن هو الأمين العدل الذي لا يحيف.

وقال ابْنُ الزُّبَيْرِ: المهيمن القاضي.

وقيل: المهيمن الشريف القدر.

وقيل: المهيمن الحافظ.

وثمرة معرفة المهيمن أن يرغب العبد إليه في صحة الإيمان ويسأله الرغبة والحماية، وإيمان العبد تصديقه باعتقادٍ صحيح لا ريب فيه وهو أن جميع ما جاء به رسول الله ﷺ حق فيصدق بتوحيد الله تعالى، وإثبات صفات كماله، وأحكامه، ووعده، ووعيده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

والإسلام إنفاذ أحكام الله، والتزام الأوامر والنواهي، والإحسان العمل بذلك على يقين العيان، كما قال ﷺ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[٣٤]، وأصل هذا كله ملازمة ذكر الله حتى يصير القلب مشاهدًا مراقبًا.

ويقال: إن من مكارم الله ﷻ اسمه المؤمن، وقد سمى عباده المؤمنين وليس يرضى أحد من الملوك أن يسمى عبده باسمه.

وفي الحديث: «**أن مناديًا ينادي يوم القيامة من كان اسمه اسم بيني وبينه وهو مؤمن، فليدخل الجنة، فيقول الله ﷻ: «أنا المؤمن وقد سميتكم المؤمنين ادخلوا الجنة**».

فإذا تمكنت المعرفة في القلب، حصل فيه أَمْنٌ وأُنْسٌ بذكر الله تعالى يطرد عنه الوساوس وتسقط التهمة في ضمان الله تعالى حتى يكون العبد فارغ الكف، طيب القلب، واثقًا بما في الغيب كما يثق بما في الحبيب.

قيل لبعضهم: كيف ترفع وسوسة إبليس؟ قال: نحن قوم اشتغلنا بالله، فكفانا ما دونه.

ويقال: إن الشيطان إذا دنى من قلب الذَّاكر انصرع، فتمر به الشياطين، فيقولون أصابته الإنس.

ويقال: من حفظ جوارحه لله حفظه الله، ومنَّ عليه بحفظ قلبه.

وقال: من ترك لله شهوة أربعين صباحًا، أخرج الله حبها من قلبه.

قال يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيّ ؓ: الوسوسة بذر الشياطين وأرضهم الشبع وماؤهم النوم، فإن لم يجدوا عندك أرضًا ولا ماء، لم ينبت لهم زرع ولا بذر.

وقال سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيُّ ؓ: إذا كنت وجهًا بلا قفا تكون مقبلاً على الله بقلب مسارع في مرضاته شعارك القرآن، ودثارك الإيمان، وسراجك الفكر، وطيبك التقوى، وطهارتك التوبة، وتصافيك وزينتك الورع ومما يؤمن الله أولياءه خوف الفقر؛ لأن الثقة بالله ثمرة الإيمان وخوف الفقر من قلة اليقين.

وفي الحديث: «**كادَ الفقر أن يكون كفرًا**»[٣٥] يعني: خَوْفُ الفقر.

---

(٣٤) رواه البخاري (٤٨).

(٣٥) رواه البيهقي في الشعب (٦٣٣٦).

وقيل لبعضهم: من أين يأكل فلان؟ قال: منذ عرف خالقه ما شك في رزقه.

وقال رجل لأبي يَزِيدَ: من أين تأكل؟ وكان قد صلى خلفه، فقال له: اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك؛ لأنك لا تعرف رازق المخلوقين.

ويقال: الذاكرون في نور اليقين وروح النعمة، والغافلون في كربة التهمة وامتداد الظلمة، وقال بعض المحبين:

ليلي بوجهك مشرقٌ	وظلامه في الناس سارِ
فالناسُ في حجب الظلا	مِ ونحنُ في نورِ النهارِ

ولهذا يطالب العارف الأدب التام زيادة على الأدب العام.

قيل: إن إبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ ﷺ قعد يومًا في خلوة ومد رجليه، فهتف به هاتف: يا إبراهيم ما هكذا مجالسة العبيد في حضرة الملوك.

باب في اسم الله ﷻ الحميد، الشكور

قال الله ﷻ: ﴿وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٠] الحمد هو الثناء الحسن الجميل، والشكر هو الثناء على المحسن لجل إحسانه، والله ﷻ حميد حامد لنفسه قبل وجود الحامدين، وقد أثنى على نفسه في كتابه المبين، قال ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٣٦]، فالله ﷻ حميد محمود؛ لأنه حمد نفسه، وحمده الحامدون فهو الحامد والمحمود جل وعلا، وهو الشكور الشاكر للمحسنين وإحسانهم بتوفيقه، والنفع عائد تفضل به ومنح وأعطى ومدح وأثنى ثناءه بكماله سبحانه.

وفي الصحيح عنه ﷺ يقول الله ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»[٣٧] معناه يثني عليه ثناء تسمعه الملائكة، وصلاة الله على نبيه ﷺ ثناؤه عليه وذكره بالتعظيم.

وقيل: بمعنى الصلة والتقرب.

---

(٣٦) تقدم تخريجه.

(٣٧) رواه البخاري (٦٨٥٦)، ومسلم (٤٨٣٢).

وفي الحديث: **«إن الله تعالى يباهي الملائكة»**[٣٨] أي: يثني على أوليائه ثناء يخاطب به ملائكته، فهو ﷻ شكور شاكر مشكور يشكره المؤمنون، وكذلك شكر المؤمن ثناؤه على الله تعالى بذكر إحسانه، فلا تحصى نعم الله تعالى ولا الثناء عليه، ولكن يجب على العبد أن يشكره ويعترف بالعجز عن حقيقة الشكر.

ويقال: إن الشكر ثلاثة أركان: المعرفة بالنعمة، والثناء على الله بذكرها، والاستعانة بها على طاعة الله لا على معصيته، والشكر من الله علمه بالطاعة وثناؤه على العبد، وإعطاؤه الثواب الجزيل على العمل القليل، وأن الله تعالى من فضله وكرمه أرسل إلينا رسلاً، وأنزل علينا كتابًا، وخاتم المرسلين بمحمد ﷺ، وأنزل عليه القرآن فهو ﷺ خاتم المرسلين وسيدهم، وخير خلق الله أجمعين، وكتابه خاتم الكتب وجامع علومها، فمن أراد علم الأولين والآخرين فعليه بتلاوة القرآن وتأمل معانيه، فإنها بساتين مختلفة الألوان والأزهار متنوعة الرياحين والثمار؛ إلا أن علوم القرآن من حيث الجملة تنقسم على ثلاثة أقسام:

الأول: قسم التعريف: وهو كل ما فيه ذكر الله تعالى، وذكر صفات من صفاته الدالة على كماله وأفعاله، وأفعال الله قسمان: ملك وملكوت، فالملك: ما كان ظاهرًا في عالم الشهادة كالسماوات والأرض وما بينهما، والملكوت: ما كان باطنًا في عالم الغيب كالملائكة، والعرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والصور، وغير ذلك.

الثاني: قسم التذكير، وهو قسمان ترغيب وترهيب، وذلك بنوعين ماض ومستقبل، فالماضي ذكر قصص الأنبياء والأولياء وما أكرمهم الله به، وذكر قصص الأعداء وما أهانهم الله به، والمستقبل ذكر ما في القبر والمحشر من النعيم والعذاب، وذكر الجنة والنار.

الثالث: قسم الأحكام وهو معرفة الأمر والنهي وأحكام الشريعة، وهو من الفقه وجميع علوم القرآن فهو كالنهر العذب الواسع، وكل واحد ينال منه ما قدر له.

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩].

---

(٣٨) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٦١٥).

وفي الصحيح: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»(٣٩).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»(٤٠).

قيل لبعض الصالحين: إما تستوحشون في الخلوات؟ قالوا: كيف نستوحش ومعنا ربنا إذا أردنا أن نكلمه ويسمع كلامنا قرأنا القرآن، وإذا أردنا أن نكلمه ذكرناه.

قال أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ ﷺ: رأيت الله في المنام، فقلت: «ما أقرب ما يتقرب به إليك المتقربون؟ فقال: بكلامي يا أحمد، فقلت: يا رب بفهم وبغير فهم؟ فقال: بفهم وبغير فهم».

وقال الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ ﷺ: حامل القرآن حامل علم الإسلام ينبغي أن يكون أكثر الناس لزومًا وثبوتًا.

قال الحَسَنُ البَصْرِيُّ ﷺ: القراء ثلاثة: رجل قرأ القرآن، فاتخذه صناعته يطلب به ما عند الناس، ورجل قصد به الرياسة في الناس، ورجل قرأ القرآن فتداوى به، فجعله على داء قلبه فهملت عيناه وطال جده وتسربل بالحزن وتردى بالخشوع، فبهم يسقى الله الأرض الغيث ويدفع البلاء، وهؤلاء في القراء أعز من الكبريت الأحمر – رضي الله عنهم وعنَّا بهم، وجعلنا منهم وحشرنا معهم في الآخرة.

---

(٣٩) رواه البخاري (٥٠٠٧).

(٤٠) رواه ابن ماجه (٢١١).

الأصل التاسع
في الأسماء الدالة على الملك والربوبية لله ﷻ

وهو أصل يرجع إليه أسماء الأفعال، وهو بحرٌ عظيم لا تُحصى أطرافه، فإن كل ما سوى الله فهو من فعل الله.

وثمرة معرفة هذا الأصل الخوف والرجاء والتذلل للملك الحق والخضوع لهيبته، والأنس بذكره، والتعزز بجنابه، والانقطاع إليه ودوام الوقوف ببابه.

باب في اسم الله ﷻ الملك الرب والفتاح الفاتح

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ*مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس:١، ٢] الملك بضم الميم استحقاق التصرف للملك ونفوذ الأمر، وهذا هو الله ﷻ حقيقة؛ لأنه قادر على الإيجاد والاختراع المنفرد بالإنشاء والإبداع، فمن أولى منه بالتصرف والتدبير وكل ما سواه ملكه، فهذا المالك الملك المليك الحاكم الحكم العدل، يفعل في ملكه كيف يشاء ليس لغيره ملك ولا لأحد عليه حق ولا ينسب إليه ظلم، وكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، يعز ويذل، ويولي ويعزل، ويعطي ويمنع، ويقضي بين الخصمين يوم العرض عليه، والعفو والانتقام راجع إليه.

والربُّ معناه: السيد المالك وقيل: المعبود معناه الرب وقيل: الرب المصلح من قولهم ربه يربه أي أصلحه، والفتاح الفاتح هو الحاكم، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩].

وقيل: الفتاح مسبب الأسباب، والمقسط هو العادل في حكمه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] أي: حاكمًا بالعدل والمقسط من العباد المؤمن؛ لأنه اتبع العدل بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢]، والقاسط بفتح القاف الكافر؛ لأنه جار وترك الحق، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ [الجن:١٥].

ويقال: العدل هو المنتقم ممن عصاه بعدل، فبطشه شديد وأخذه أليم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج:٨] أي ما كرهوا منهم غير إيمانهم وقوله تعالى ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ [الأعراف:١٢٦]،

والكراهية من الله تعالى نهيه عن المخالفات، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ [الإسراء:٣٨] أي: منهي عنه.

فمعنى المنتقم معاقب من عصاه وارتكب ما عنه نهاه، وقد وردت الكراهية بمعنى آخر، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦] أي: لم يرد خروجهم إلى الجهاد، بل أمرهم ولم يوفقهم له من عدله ﷻ يملي للكافرين أي: يمهلهم وينعم عليهم حتى يأخذهم على غرة، وهذا هو الإملاء والكيد والمكر، قال الله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٣] أي مكري قوي، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾ [الأنفال:٣٠]، فمكرهم كيدهم المؤمنين، والتحيّل على أذاهم، ومكر الله أخذه لهم على غرة ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]؛ لأنه إذا مكر بالكافرين، فمكره بهم خير في حق المؤمنين؛ لأنه أهلك أعداءهم، وهو شديد المحال أي: شديد القوة والقدرة.

وفي الحديث: «**الواحد هو المالك**»[41]، وكل ما سواه فهو ملكه، فهو الواحد المَلِيءُ الغَنِيُّ ، والوُجد بضم الواو المَلِيءُ الغَنِيُّ ، والمَلِكُ والغَنِيُّ، قال الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق:٦] أي: قدر الغِنَى والسَّعَة، ومن عرف أنَّ الله تعالى هو الملك المالك نكب عن وصف الدعوى، وتبرأ عن الحول والقوة، وسلم الأمر لمالكه، وأصبح مُفَوِّضًا لا مُدَبِّرًا، وتعزز بمالكه عن الأكوان كلها.

قيل: إنه كان سبب زهد شَقِيق الْبَلْخِيّ أنه نظر غلام يضحك في وقت شدة، وهو يقول: أنا لا أبالي؛ لأن لسيدي قربة يستغل منها كل سنة كذا، وكذا، فقال شَقِيق في نفسه: فإن سيدي هو مالك السماوات والأرض، فكيف اهتم بالرزق، فانقطع إلى الله ﷻ.

ويقال: من صَحَّت عبوديته لربه صار حُرًّا من نفسه.

ويقال: العبودية ترك التَّدْبِير، وشهود التَّقْدِير.

وقيل لمحَمَّدِ بْنِ خَفِيفٍ ؓ: متى تصح للعبد العبودية؟ فقال: إذا طرح كله على مولاه، وصبر على بلواه.

وقال ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ ؓ: العبودية أن تكون عبد الله كما أنه ربك في كل حال، يعني لا تلهيك عنه نعمة، ولا يقطعك عنه شدة لا من البلاء يتخوف، ولا بالعطاء يتصرف.

---

(٤١) لم أقف عليه.

وقال ابنُ عَطَاءٍ: العبودية في أربع خصال: الوفاء بالعهود والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود.

ويقال: العبودية أن تكون فرد الفرد، ولا يسترقك شيء من الدنيا، ولا يملكك شيء من الهوى.

إذَا كــانَ شيءٌ لَا يــساوِي جميعــهُ   جنــاحَ بعــوضٍ عنــدَ مَــنْ أنــتَ عبــدهُ
وأشــغلَ جــزءٌ منــهُ كلــكَ مَــا الــذِي   يكــونُ عــلَى ذَا الحــالِ قــدركَ عنــدهُ

قال بعض الأمراء لبعض الفقراء: ألك حاجة؟ فقال له: إلى تقول ولي عبدان هما سيداك الحِرْصُ والهَوَى أنا قد ملكتهما، وهما قد ملكاك.

قيل عن الحَسَن البَصْرِيّ -رحمة الله عليه- أنه أنشد هذه الأبيات:

ربَّ مــستورٍ ســبَتهُ شــهوةٌ   قــدْ عــرِىَ مــنْ ســترهُ وانهتكَــا
صــاحبُ الــشهوةِ عبــدٌ فــإذَا   ملــكَ الــشهوةَ أضــحَى ملكَــا

ويقال: ليس يجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد، وهو يجد من مولاه المزيد.

قال بِشْر الحَافِيُّ ﷺ: رأيت الإمام عليًا ﷺ، فقال لي: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبًا لمرضاة الله، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله، فقلت له: زدني بالله عليك يا أمير المؤمنين، فشرع ينشدني هذه الأبيات:

قــدْ كنــتُ ميتًــا فــصرتُ حيًّــا   وعــنْ قليــلٍ تــصيرُ ميتًــا
عــزَّ بــدارِ الفنــاءِ بيــتٌ   فــأينَ لــدارِ البقــاءِ بيتًــا

قيل لبعضهم: ما بال بيتك فارغًا؟ قال: إن لي منزلين منزل خوف ومنزل أمن، فما كان عندنا وجهناه إلى منزل إلا من قيل له، فلابد لك في هذا المنزل من شيء، قال: إن صاحب المنزل لا يتركنا فيه.

ويقال: من ادخر المال، فماله لحادث أو وارث.

قال بعضهم: كنت مسافرًا في البادية، فتقدمت فرأيت امرأة سبقت القافلة، فقلت: هذه امرأة ضعيفة سبقت حتى لا تنقطع فأخرجت إليها دراهم فقلت: خذي هذه الدراهم

اركبي بها، فقبضت قبضة من الهواء وناولته دراهم، وقالت: خذ أنت تنفق من الجيب وأنا أنفق من الغيب.

وفي بعض الكتب المنزلة: «يا ابن آدم لا تخف من سلطان ما دام سلطاني وملكي لا يزول أبدًا، يا ابن آدم لا تخف فوات الرزق ما دامت خزائني ملآنة أبدًا وخزائني مملوءة لا تنفذ، يا ابن آدم لا تأنس بغيري ما وجدتني فمن طلبني وجدني، يا ابن آدم أنا وحقي لك محب فكن أنت بحقي عليك لي محبًا، يا ابن آدم لا تأمن من مكري حتى تجوز على الصراط، يا ابن آدم خلقت السماوات والأرض ولم أعيي بخلقهن أيعييني رغيف أسوقه لك في كل حين، يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي لما خلقته من أجلك، يا ابن آدم تغضب عليَّ من أجل نفسك ولا تغضب على نفسك من أجلي، يا ابن آدم كل يريدك له وأنا أريدك لنفسك وأنت تفر عني، يا ابن آدم ما أنصفتني، يا ابن آدم لا أطالبك بعمل غد فلا تطالبني برزق غد، يا ابن آدم لي عليك فريضة ولك على رزق، فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحوش في البرية، فوعزتي وجلالي ما تنال منها إلا ما قسمت لك وأنت مذموم، فاسمع واعتبر».

ويحكى أنه وجد في خزانة بعض الحكماء المتقدمين رقعة فيها مكتوب خمسة أسطر بالذهب.

الأول: إذا كان الله غاية الغايات، فالمعرفة به أصل العبادات.

الثاني: إذا كان القضاء والقدر حقًا، فالحزم باطل.

الثالث: إذا كان الموت محتومًا، فالركون إلى الدنيا جنون.

الرابع: إذا كان الغدر طباعًا، فالثقة بكل أحد عجز.

الخامسة: إذا كان الله عدلاً في قضائه، فعقوبة الخلق بما كسبت أيديهم.

وقال بعضهم: من عرف أن الله هو الحكم العدل، فليحاسب نفسه قبل المحاسبة يعاتبها قبل المعاتبة.

قال بعض الصالحين لولده: يا ولدي اذكر لي كل ليلة ما قلته بالنهار، فمكث أيامًا

يتحرى في أقواله وشق عليه ذلك، فقال لأبيه: إني لا أقدر على ذلك، فقال له: يا بني إذا لم تقدر على محاسبة أبيك في أيام قلائل، فكيف تقدر على محاسبة سيدك في عمرك؟.

وقيل: من عرف أن الله هو الفاتح للأبواب، الميسر للأسباب انتظر عوائد إكرامه، وصبر على الشدائد واثقًا بجميع إنعامه.

قيل عن بعض الفقراء: أنه كان كل يوم يطوف بالبيت، ويخرج رقعة من جيبه وينظر فيها ثم يمضي، فلما مات أخذت الرقعة، فإذا فيها قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، فعلم أنه كان فقيرًا، وكان يكتم سره ويخفي فقره، والله يفتح للنفوس عوائد التوفيق، ويفتح للقلوب زوائد التحقيق، فبتوفيقه يهون على النفس المجاهدة، وبتحقيقه تصل القلوب إلى المشاهدة.

ويقال: من عرف أن الله هو الفتاح، ترك الاستعجال، وقنع باليسر من الآمال، وعلم أن ما أعطاه لا مانع له، وما منعه لا معطي له، وما قدمه لا مؤخر له، وما أخره لا مقدم له. وقيل: إن رجل يؤذن في مسجد علي بن أبي طالب ﷺ بالكوفة، وكان لعلي جارية، وكان المؤذن كلما لقيها قال لها: إني أحبك، فذكرت ذلك لعلي، فقال لها: قولي له ما تريد أن تصنع؟ فقالت له ذلك، فقال لها: اصبري حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فذكرت ذلك لعلي، فأرسلها خلفه فأتت به، فقال له علي: قد حكم الله بينكما وهو خير الحاكمين خذها فقد وهبتها لك.

قيل: كان لبعضهم جارية، فباعها وقد ندم على بيعها، فقعد متفكرًا ومد يده كالسائل من الله، فرأى مشتري الجارية في المنام قائلاً يقول له: إن بائع هذه الجارية من أولياء الله وهو مشغول القلب بها، فردها عليه وأخذ ثمنها من الله، فأخذها وأتى بها إليه، فقرع الباب فقال من بالباب؟ فقال: أنا الذي اشتريت الجارية خذها لك؛ لأني أخذت ثمنها من الله تعالى.

قال وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ ﷺ: قرأت في التوراة: من قرأ كتاب الله فظن أن لن يغفر له، فهو من المستهزئين بآيات الله، ومن شكا مصيبته لغير الله، فإنما يشكو ربه، ومن حزن على ما في يد غيره فقد سخط بقضاء ربه، ومن تضعضع لغني سقط ثلثا دينه.

قيل: مَنْ عَرَفَ أنَّ الله هو المنتقم احترز في أقواله وفي أفعاله، وكان خائفًا في جميع أحواله؛ لأن الله تعالى منتقم في حقوق خلقه ما لا ينتقم لحقه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ

رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧] معناه: ما أهلك أمه بشرك حتى يبغي بعضها على بعض.

وحُكي أنَّ عابدًا في بني إسرائيل كان له مع الله حال، فذبح يومًا عجلاً وأمه تنظر إليه، فسلب ما كان فيه من الحال مع الله، وبقى زمانًا في محنة حتى مر على فرخ وقع من عش فرده إلى مكانه، فرد الله عليه ما كان فيه.

وحُكي أنَّ بعض الفقراء نظر إلى شخص جميل في الطواف، فوقع في عينه سهم قَلَعَها، وسمع هاتفًا يقول: نظرت بنظرك إلى محرم فقلعناه، فلو نظرت بسرك إلى غيرنا لقطعناه.

قيل: مَنْ عَرَف أنَّ الله له الحُكْم والتَّصريف والتقليب، وأنه مقلب القلوب كان خائفًا من المكر من كل نفس، قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤] معناه: يقلبه كيف يشاء.

وقيل: يعلم ما في ضميره.

وقال أَبُو سَعِيدٍ الخَرَّازُ ﷺ: خزائن الله في السماء الغيوب وفي الأرض القلوب، فإذا أراد الله أن يرفع عبدًا من عباده أرسل إليه رياح وداده، معناه: أرسل إلى قلبه رياح الوداد؛ لتطهره من الشك والشرك، وأرسل إليه سحائب العناية، فأمطرت عليه مطر الولاية، فأنبتت فيه شجرة الإيمان، فأثمرت الرضا، والتسليم، والتوكل، واليقين، والإخلاص، والقصد، والإحسان. قيل: لما مر من بِشْر الحَافِيّ ذهبوا بقارورته إلى طبيب نصراني، فلما نظر إليها قال: هذا رجل فتت الخوف كبده، وهو يموت الساعة وما أظنه إلا بِشْر الحَافِيّ، فقيل له: هو كما قلت، فقال النصراني: إن هذا هو الدين الحقيقي أنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فلما رجعوا إلى بشر قال لهم: أسلم الطبيب؟ قالوا: نعم، فقال: إني عفيت الساعة، فقيل لي: يا بشر ببركة ما بك أسلم الطبيب.

ومن الأسماء التي ترجع إلى معنى الملك أسماء مشتقة من أفعال العباد، وهي الْمُسْتَعَان والْمُسْتَغَاث والْمَعْبُود والْمَدْعُوّ والْمَسْئُول وما في معناه، وهي تدل على أن الله ﷻ ومن الأسماء الدالة على الملك المثبت الماحي، قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩] أي: يثبت ما علم أنه ما يمحى، وعنده أم الكتاب هو اللوح المحفوظ فكم من إنسان كتب في ديوان الأشقياء وهو في علم الله من جملة السعداء،

فإذا جاء الوقت الذي علم محوه فيه محيت الشقاوة وكتبت السعادة ومعلوم الله لم يتغير.

وقيل: المحو والإثبات من كتب الحفظة.

وقيل: هو النسخ في الأحكام.

باب في أسماء الله ﷻ الخالق، البارئ المصور

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤] العالم بكل شيء هو الله ﷻ سبحانه، مخترع جميع المصنوعات ومنشئها، وصانع العالم هو الله ﷻ أي: الموجود المخترع.

وقيل: الخالق الذي أوجد كل شيء على القدر الذي علمه وأراده في الأزل، قال الله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان:٢]، وجميع الأفعال تدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، وقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وقيل: ﴿الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤]، ومنه قول عيسى ﷺ: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران:٤٩] يعني: أصور.

قال الله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] أي: أحسن المصورين، وقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤]، فإن الله تعالى يوجد الأشياء من العدم ويصورها كما يشاء.

وهو البَارِئُ معناه: خَلَقَ الخَلْقَ من تراب وأَصْلُ الثَّرى في اللغة التُّراب، وهو الذي تصور منه الأشياء، فيصور ما يوجده من الأشياء على المثال الذي أراده، وأصل أَصَار أَمَالَ، قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٢٦٠] أي: أملهن، الذي يميل ما شاء إلى أي صورة شاء، وينقله من صفة إلى صفة قال الله تعالى ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨].

وهو الفَاطِرُ الذي فَطَرَ السماوات بالمطر، والأرض بالنبات، وهو البديع الفاعل الأول الذي لم يسبق بالفعل ليس مثله على مثال سابق.

وقيل: هو الذي لا مثل له في ذاته وصفاته.

والبَارِئُ هو الخَالِقُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [النحل:١٣]

أي: خلق وهو النبات ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾ [الشورى:٢٩]، وأصل البَثِّ البسط والتفرقة.

والخَلَّاقُ الكثير الخلق القادر على أمثال ما يخلق من غير نهاية، وكل ما حصل في الوجود، فهو من فعل الله ﷻ ويشتق من ذلك الفعل اسم، وهذا لا يمكن إحصاؤه، ومذهب أهل السُّنَّة أنَّ الله تعالى لا يسمى إلا بما سمى به نفسه، وكل فعل ورد في الكتاب أو في السنة، جاز أن يسمي الله به مثاله كالمخرج، والباني، والماهد، والمكرم، والمكور، والزارع، والفارق، والدارج، والكاشف، والمدرك، والمهلك، والمبرم، والمرمل، والمنزل، والممتحن، والفاتر، والوافي، والدافع، والمطهر، والمنجي، والمتجاوز، والمضاعف، والساق، والمجيب، والمكره، والساتر، والناشر، والمذلل، والمسخر، والمجري، والعاصم، والمغيث، والمضلل، والمغشي، والمنشي، والمحصي، والمورث، والمضحك، والمبكي، والمغني، والمعطي، والممسك، والمصلح، والممرض، والشافي، والسلطان، والبرهان، والديان، والقاصم، والكفيل، والمرشد، والسند، والوتر، وهذا باب متسع لا ينتهي إليه قصد من يحصره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر:٣١]. كذلك يعجز الواصفون عن حصر ذاته، وصفاته، وأسمائه ﷻ، ومن عرف أن الله تعالى هو الخالق تبرأ من حوله وقوته، ورجع إلى حول الله وقوته في سكونه وحركاته، ونظر إلى المصنوعات بعين الاعتبار، وشاهد فيها آثار قدرة الجبار، وينظر إلى خلق الله بعين الشفقة والرحمة، ولم ينسب إلى أحد منهم في الحقيقة فعلاً، فلا يخاصم لأجل نفسه أحدًا من خلق الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]، وقوله تعالى: ﴿فِي الآفَاقِ﴾ معناه: ما في السماوات والأرض من عجائب المصنوعات، والآيات في الأنفس تركيب الأعضاء والتئام الأجزاء وتقليب القلوب، وتصريف النفوس وورود الأحوال المختلفة على الإنسان من اليقظة والمنام، والجوع والشبع، والصبر والجزع، والحب والبغض، وغير ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١].

ويقال: في الآفاق الشمس والقمر، وفي النفوس علم ونظر، فالشمس كالمعرفة، والقمر كالنظر في المصنوعات، والنجوم كالعلم بالأحكام، والسحاب كالغفلة والجهل، والبروق كالخواطر، والفصول الأربعة كالطبائع الأربعة، كما قيل:

دواؤكَ فيـــــكَ ولا تـــــشعرُ وداؤكَ منـــــكَ وتـــــستكثرُ
وتحـــسبُ إنـــكَ جـــرمٌ صـــغيرٌ وفيـــكَ انطـــوَى العـــالمُ الأكـــبرُ

وقوله: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾، فمن نظر في الآيات علم أن الله هو الحق وما أرسل به ﷺ، وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣] ليس في شهادة الله تعالى كفاية لمن استبصر، فمن صدق ما جاء به عن الله شهد بما شهد الله به، وداوم على ذكره لله حتى يشاهد بقلبه جلاله وجماله، فيحصل له بذلك الاكتفاء، وليس وراء الله مرمى.

باب في اسم الله ﷻ المحي المميت

قال الله ﷻ: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد:٢] الحياة في جميع الحيوانات معنى يخلقه الله تعالى عند نفخ الروح في الجسد، والموت معنى يخلقه الله عند نزع الروح منه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك:٢]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً﴾ [البقرة:٢٨] أي: نطفًا لا حياة فيها، فأحياكم في الدنيا إلى انقضاء آجالكم، ثم يميتكم عند قبض أرواحكم، ثم يحييكم للبعث والروح جسم لطيف يدخل في هذا الجسم الكثيف ويخرج منه، فإذا مات الإنسان قبضت الملائكة روحه، فيصعدون بها فتجد من الكرامة أو الهوان ما وردت به الأخبار، وترد إلى الجسد لمساءلة منكر ونكير-عليهما السلام- ثم تخرج إلى الجنة، أو إلى النار إلى يوم البعث، ويخلق في الجسد إدراكًا يدرك به النعيم والعذاب، فإذا كان يوم البعث أعيد للحساب كما كان ورجعت إليه الروح، وقام للبعث والحساب والله ﷻ بدأ الخلق، ثم يعيده للبعث.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج:١٣]، وهو الحاشر الجامع الذي يجمع الناس، ويحشرهم للوقوف والسؤال.

اسمه الباعث الذي يخرج الموتى من القبور، وأصل بعث آثار، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس:١٢].

ويقال: الباعث باعث الرسل، وهو الحاسب أي: محصي أعمال العباد ومحاسبهم، وهو أسرع الحاسبين، فحساب الخلائق كلهم كحساب رجل واحد ولا يشغله شأن عن شأن، قال الله تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]، ومن عرف أن الله تعالى هو الجامع الحاسب، كان كثير الفكرة في الوقوف بين يدي الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٤٠].

قيل: إن الرَّبِيعَ بْنَ خَيْثَم مرَّ على مكتب فوجد صبيًا يبكي، فقال له: مالك تبكي؟ قال: أخاف من العرض على الفقيه وما حفظت فوقع مغشيًا عليه، ومن فكر في القيامة وأهوالها صبر على ما يقاسيه في الدنيا من الفقر والآلام علمًا منه بأن من عاقبته إلى الجنة لم يبال بما يقاسيه في المدة اليسيرة، ومن عاقبته إلى النار؛ فالذي هو فيه راحة بالنسبة إلى العذاب.

قيل: كان بِشْرٌ الْحَافِيُّ ﷺ يلتقط يومًا شيئًا من مطروح الطعام على المزابل، فزاحمه كلب فتركه له، وقال: إن كان عاقبتي إلى الجنة، فلا أُبالي بما أنا فيه، وإن كانت الأخرى فأنت خير مني.

وقال أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: العجب ممن ينجو من الناس لكثرة ذنوبهم، فقال له الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ: بل العجب ممن يهلك منهم مع سعة رحمة الله تعالى، فقال أَبُو هُرَيْرَةَ: صدقت يا بن بنت رسول الله، الله اعلم حيث يجعل رسالاته.

قيل إن بعض الصالحين: رُؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: وجدت القبول بالجود لا بالسجود، والعطاء بالمنَّة لا بالخدمة، والمغفرة بالفضل لا بالفعل، ويؤيد هذا قوله ﷺ: «لَا يُنَجِّي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله! فَقَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ وَلَكِنْ سَدِّدُوا»(٤٢).

قيل: جاء فقير إلى الشِّبْلِيِّ ﷺ، فقال: يا أَبَا بَكْر من يحاسبنا؟ قال: الله، فمر الفقير وهو يقول: الكريم إذا قدر غفر.

ويقال: المعيد بالفضل بإعادة النعم وإدامتها، وربما كان لبعض الناس وقت فتغير، ومشرب صافٍ فتكدر، ثم يعيد الله إليه عوائد إحسانه، ويرد إليه فوائد لُطفِه وامتنانه من جزيل إكرامه، كما قيل:

لئنْ درستْ أسبابَ ما كانَ بيننَا ... منَ الوصلِ ما ودِّي إليكَ بدارسِ
وأرجُو بأنَّ اللهَ يجمعُ بيننَا ... بأفضلَ ما كنَّا عليهِ وآنسِ

---

(٤٢) رواه أحمد في المسند (٩٤٥٥).

ومن الناس مَنْ إذا مَسَّه أَلَمٌ أو تَكَدَّر تغير وقته، فلم يعد عليه إلا بأسفه وتلهفه وتضرعه إلى أن يلقى الله ﷻ وهو أنفع مما فاته، فإن الأول حقه على الله، وهذا حق الله تعالى عليه.

ويُروى أن موسى عليه السلام قال: «يا رب أين أجدك؟ قال: عند القلوب المنكسرة من أجلي»[43].

وأوحى الله إلى داود عليه السلام: «يا داود كانت تلك الزلة مباركة عليك، يا داود أنين المذنبين أحب إليَّ من صراخ العابدين»[44].

وقال يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه: إني أرى ذنبًا يستغفر منه، خيرًا من طاعة يفتخر بها.

ويقال: اسمه تعالى المحي المميت، محيي قلوب المؤمنين، ومميت قلوب الكافرين، قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢].

ويقال: الجامع جامع القلوب بالتوحيد، وأهل الحقائق يسمون رؤية الوسائط، والوقوف مع الأسباب فرقًا وعبودية وشريعة، ونسبة الأفعال إلى الله تعالى جمعًا وتوحيدًا وحقيقة، فالأول محله الظاهر، والثاني محله الباطن، فمن كان ظاهره بحكم الفرق، وباطنه بحكم الجمع، فقد جمع بين الحقيقة والشريعة، فالشريعة النظر في أوامر الله، والحقيقة النظر في فعل الله.

---

(٤٣) رواه البيهقي في الزهد الكبير (٣٩٧).

(٤٤) رواه البيهقي في الشعب (٧٠٠٢).

باب في اسم الله ﷻ الجميل

ورد في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ»[٤٥]، والجميل هو المجمل بالنعم، المحسن المفضل من غير استحقاق، يعطي قبل السؤال ويسبغ الفضل والنوال.

وقيل: إن بعض الصالحين كان يكثر من اسم الله تعالى الوهاب[٤٦] فما زال في سعة ونعمة حتى مات.

وقال بعضهم: كنت في جماعة، فأتى إلينا سائل، فقال: أنا السائل الذي رددتموني بالأمس رجعت إلى ربي فأغناني، وهو الرزاق الذي يعطي الكثير من العطاء، وهو خير الرازقين.

الرازِّق هو الذي يعطي الرزق، والرزق هو كل ما ينتفع به العبد، والرزاق الكثير العطاء، وخير الرازقين هو الذي لا يمنع العبد من رزقه مع تقصيره في الوفاء بحقوقه.

ويقال: اسمه تعالى المقيت يعطي الأقوات، فقوت الأشباح الطعام والشراب، وقوت القلوب المعرفة بالله والذكر، وقوت الأرواح المحبة والأنس، وقوت الأسرار

---

(٤٥) رواه البخاري (١٣١).

(٤٦) **قال سيدنا الشعراني: قال الشيخ الأكبر:** اعلم أن الوهب هو العطاء من الواهب على جهة الإنعام من غير أن يخطر له خاطر الجزاء عليه من شكر أو غيره، فإِنْ اقترن معه طلب شكر جزاء، فليس هو بوهب وإنَّما هو عطاء تجارة تطلب الربح والخسران، فصاحب هذا المقام يتجرد عن جميع أغراضه كلها في إحسانه لهيئاته البدنية والمالية، ومعنى البدنية أن يعرف بدنه بسقم أو غيره من الحركات البدنية في حق من كان من عباد الله من إنسان أو حيوان لا يبتغي بذلك أجرًا، ولا يطلب عليه شكرًا إلَّا مجرد الإنعام على هذا الذي يتحرك من أجله مما له فيه منفعة أو دفع مضرة، وكون الله يؤجره على ذلك، ذلك إلى الله لا إليه، فليس مراد صاحب هذا المقام إلَّا الإنعام على تلك الصورة العملية المشروعة بالظهور المتصف بالوجود، فيكون من المسبحين بحمد الله، فينعم عليها وعلى حضرة التسبيح، فيخلق الله تعالى في عياداته ألسنة مسبحة لله بحمده لم يكن لها عين في الوجود كما خلق عيسى ﵇ كهيئة الطير من الطين، فنفخ فيها فكان طائرا بإذن الله، فإِنْ كان عيسى قد نوى بخلقه الطائر الإنعام على تلك الصورة لتلحق بالوجود وينعم على حضرة التسبيح بزيادة المسبحين فيها، التحق بهذه الحضرة وإِنْ كان نوى غير ذلك فهو لما نوى، فإنَّما الأعمال بالنيات، وهذا الذي ذكرناه من قصد الإنعام على تلك الصورة هو عين ما قصده الحق في إيجاده العالم، فكما قصد الحق بالخلق أن يعبدوه في نحو قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] فكذلك قصد صاحب هذا المقام، وأطال في ذلك. ثم قال: وهذا عمل لم ينسج على منواله أحد انفردنا بالتنبيه عليه، فاعلم ذلك.

المشاهدة والقرب، ومن عرف الله تعالى أنه هو الرزاق توكل عليه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

وقيل: سُئل ذُو النُّونِ الْمِصْرِيّ ﷺ عن التوكل، فقال: خلع الأرباب وقطع الأسباب، فقال له السائل: زدني فقال: إطراح النفس في العبودية، وإخراجها عن الربوبية.

وقيل: سُئل سَهْل بْن عَبْد الله ﷺ عن التوكل؟ فقال: قلب يعيش مع الله بلا علاقة.

وقال يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ ﷺ: لبس الصوف حانوت، والكلام في الزهد حرفة، وصحبة الغافل تفريط، قال لبعضهم: من أين تأكل؟ قالوا: من خزانة لا يأكلها السوس، ولا تكسرها اللصوص.

وقال رجل لحَاتِمِ الأَصَمِّ ﷺ: من أين تأكل؟ قال من عند الله، قال: ينزل عليك خبز من السماء، قال له حاتم: لو لم تكن له لكان ينزل عليَّ خبزًا من السماء، قال: أغلق عليك الباب، قال: كنت في بطن أمي وهو يرزقني، والرزق يأتيني، قال فاستلق على ظهرك؟ قال: كنت في حجر أمي والرزق ينزل عليَّ، قال: لا أغالي مجادلتك، قال: إن الباطل لا يقوى على الحق.

قال فتح الموصلي ﷺ لامرأته: إني أريد سفرًا فكم تحتاجين من النفقة؟ قال: ما تقدر تضمن لنا من الحياة، فلما جاءت إليها نسوة يظهرن الاهتمام لأمرها، قال: ما كان فتح رازقًا، وإنما عهدناه آكلاً للرزق، وهذا يحكى عن فتح، وحاتم الأصم.

وقيل: إن الله تعالى جعل سكون قوم بوجود الأرزاق، وسكون قوم بوجود الرازق، فمن كان شهوده بوجود الرازق، فهو في عيشة راضية، وإن كانت خزائنه من المال خالية.

قال ابْنُ سَلَمَةَ: كانت إلى جانبي امرأة فقيرة فسمعتها بالليل، وهي تقول: يا رفيق أرفق، فقلت: هذه في فاقة فأتيت إلى الباب الذي لها فطرقته، فقالت لي من داخل الدار: حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ إن شاء الله؟ قلت: نعم، فقالت: ماذا تريد؟ فقلت: خذي هذه النفقة، فقالت: يا حماد إنا لم نرد هذا ولا نحب أن يكون بيننا وبين الله واسطة، فقالت لها ابنتها وهي خماسية العمر: لما رفعت صوتك يا أماه بالسؤال أما علمت أن الله يأتينا بالرزق على يد مخلوق، ويقال: أحسن القوت ذكر الحي الذي لا يموت.

وقيل اسمه المغني الذي أغنى وأقنى معناه: خلق الغنى في النفس، وأقنى أعطى الإنسان ما لا يقتنيه.

وقيل: أغنى أعطى بقدر الكفاية، وأقنى أعطى ما يفضل للقنية.

وقيل: يغني قومًا بيسير السبب، وقومًا بسقوط الطلب، وزوال الإرب وحسن الأدب.

ويقال: من أشار إلى الله، ثم رجع في حوائجه لغير الله أحوجه الله إلى الخلق، ثم ينزع الله الرحمة من قلوبهم، ومن استقل بتدبير الله واكتفى بالله أقبل عليه برحمته، وأقبل بوجوه الخلق وقلوبهم إليه سبحانه، يقال: الافتقار إلى الله ثمرته الاستغناء بالله.

واسمه تعالى الوكيل الذي ترجع الأمور كلها إليه، فمن وكل أمره إليه كفاه.

واسمه تعالى الكفيل هو المتكفل بأرزاق العباد، والمتكفل للمؤمنين بالثواب والمزيد.

واسمه تعالى الوفي هو الذي إذا وعد وفى، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة:١١١]

واسمه تعالى المنان فالمنة العطية، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم:١١].

ويقال: المنة ذكر الإحسان، وقد ذكر الله ﷻ إحسانه إلى خلقه في كتابه العزيز، وعدد عليهم نعمه، والمن من الله ﷻ حسن؛ لأنه المنعم على الحقيقة.

قال الله ﷻ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

واسمه تعالى **اللطيف**(٤٧) الذي يحسن بالإحسان إحسانًا خفيًّا تمتد إليه الآمال، ويولي من الجمال ما لا يخطر ببال، قال الله تعالى: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ﴾ [الشورى:١٩] أي: محسن إليهم إحسانًا خفيًّا من حيث لا يحتسبون، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ البَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ

---

(٤٧) قال الشيخ الشعراني: قال الشيخ في الكلام على الاسم اللطيف: اعلم أن اللطيف ما لطفه وأخفاه عن الإدراك إلا شدة ظهوره فإنه لا تقع عين إلا عليه ولا ينظر إلا به إذ هو البصر لكل عين تبصر، وما الفائدة إلا لمن يشهد ذلك ويعرفه ذوقًا، ومشاهدة فإن التقليد في ذلك لا يقع موقع الشهود فإنه ما تم إلا هو والتمييز لا يكون إلا عن الغير، وما ثم عين حقيقة «كان الله ولا شيء معه».

الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: محسن كما يشاء لمن يشاء من خلقه.

ويقال: من لطفه أنه أعطى فوق الكفاية، وكلف دون الطاقة أوجب عليك صلوات في اليوم والليلة، ولم يجعلها في وقت واحد، ويرزقك على الدوام وأنت كل يوم في بره وإحسانه.

قيل: إنَّ رجلاً جاء إلى بعض الصالحين، فقال له: إلى كم تقولون إن الله لطيف بعباده، وقد جعت أيامًا حتى بعت شيئًا كنت ورثته من أبي؟ فقال: يا هذا أعطاك الرزق من سنين، وأنت تشكوه ومن لطفه حفظ التوحيد في قلبك مع ما تتعاطاه من المخالفات، وأذن لك في مناجاته وعبادته، وما فيك من العيوب والغفلات.

وقيل: خالق دقائق الأفعال الذي أخفى كل لطيفة بين إثبات كل كثيفة، جعل المعادن في الأرض، والعسل في النحل، والإبريسم في الدود، واللبن بين الفرث والدم، والمعرفة في قلوب مع ما في النفوس من العيوب.

قال ذُو النُّونِ المِصْرِيُّ ﷺ: رأيت رجلاً شهد له قلبي بالولاية، واحتقرت ظاهره، فنظر إليَّ وقال: يا ذا النُّونِ الدر في الصدق.

وقيل: اللطيف، العالم بالخفيات والسرائر.

وقيل: اللطيف، الخفي عن الأوهام، فلا يحيط به وصف.

وهو الكريم أي: الجميل الوصف، الحسن الصفات والأفعال، المكرم لمن يشاء واصل الكرم، نفي الدناءة.

وقيل: الكريم الرفيع القدر، والأكرم الذي يتكرم كرمًا لا يقدر عليه غيره.

وقيل: الأكرم الذي لا مساوٍ له في أوصاف الجلال والجمال والكمال، وهو الجواد الذي يجود على عباده بالستر، والإمهال، والإنعام، والأفضال، والمغفرة، والنوال، وقال ﷺ: «إن الله جواد كريم يستحي من العبد المسلم أن يمد يده إليه ثم يقبضها من قبل أن يجعل له فيها ما سأل»[48].

وقيل في بعض الكتب المنزلة: «ما أنصفني عبدي، يدعوني فاستجيب له، وأستحيي

(٤٨) رواه الطبراني في الدعاء (١٨٨).

أن أرده، ولا يستحي مني حتى يعصيني»[49].

وقيل: الكريم الذي يعطي السؤال قبل بلوغ الآمال.

وقيل: الكريم الذي يغضب على من لا يسأله قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦].

وقيل أن الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ: «سلني حتى ملح عجينك، وعلف دابتك».

ويقال: من عرف الكريم، تخلق بأخلاق الكريم، فإن الله كريم يحب كل كريم.

قيل: إن رجلاً جاء إلى علي ﷺ بالليل؛ ليسأله شيئًا، فأمر بطفء السراج، فسُئل عن ذلك، فقال: لئلا يرى في وجهه ذل السؤال وتمام الكرم، أن تحسن لمن أساء إليك.

قال أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ الْبَصْرِيُّ ﷺ: رأيت بالبصرة جنازة محمولة لم يكن معها غير عجوز تمشي خلفها فمشيت معها حتى صلينا عليه ودفناه، ثم رأيت العجوز وهي ضاحكة، فسألتها عن ذلك، فقالت: هذا ولدي وكان مسرفًا على نفسه، فلما حضرته الوفاة قال لي: يا أماه لا تخبري الجيران بوفاتي، وقولي هذا جزاء من عصى الله وإذا دفنت فاجلسي عند قبري وقولي: اللهم إني راضية عنه، فارض عنه، وقد فعلت ما أوصاني به، فسمعته يقول: يا أماه اذهبي فقد قدمت على رب كريم غير غضبان.

قال شُرَيْحٌ ﷺ: رأيت الله ﷻ في المنام، فقال لي: يا شُرَيْح أيطلع جبار مثلي إلى دار الدنيا، فيغفر لرجل واحد شهد أني قد غفرت لسبعين ألفًا، وشفعت كل رجل منهم في سبعين ألفًا.

وقال تمام الداري ﷺ: رأيت الله ﷻ في المنام فقال لي: يا تميم أشهد أني سميع بصير غفور رحيم، فهو البصير الناصر الذي ينصر أولياءه على أعدائهم، وهو الشافي المعافي دافع الأسقام، ومزيل الآلام.

وروي عن القاضي أبي بكر بن العربي: أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: أنا طبيب، فقال له: «الطبيب الله، بل أنت رفيق والطبيب العالم بالداء والدواء».

ويقال: الطبيب مُذهب الآلام، فلا طبيب على الحقيقة له هذه القدرة غير الله ﷻ.

(٤٩) ذكره القشيري في الرسالة (١/ ٩٩).

باب في اسم الله تعالى المجيب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وقال تعالى إخبارًا عن صالح ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١]، وأصل التوبة والرجوع، فتوبة الله على العبد أن يرده إلى بابه بتوفيقه، ويرد عليه عوائد كرمه وفضله، وتوبة العبد رجوعه عن المعصية إلى الطاعة، والرجوع كسب للعبد، وهو فعل الله تعالى على الحقيقة كسائر اكتساب العباد.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة:١١٨]، والتوبة على ثلاثة أركان: وهي الندم على ما فات، والإقلاع عن الذنب، فلا يصح الإقلاع إلا بإصلاح ما يمكن إصلاحه بوفاء حقوق الله تعالى وحقوق الخلق، والعزم في المستقبل على الصلاح.

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[٥٠].

وروى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

وفي رواية مسلم: «يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ»[٥١].

وقيل: أوحى الله إلى بعض الأنبياء: «بشر المذنبين إن تابوا قبلتهم وحذّر الصديقين، إنّي إن وضعت عدلي عليهم عذبتهم»[٥٢].

قال ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ ﷺ: رأيت فقيرًا يطوف، وشابًّا جميل الصورة يطوف بين يديه وهو يَتَبَخْتَر، فسألت عنه، فقيل لي: هو عبد لأمير مكة، فتقدمت إليه وقلت له: يا فتى أنت تتبختر في مشيتك في الطواف، ووراءك فقير وهو عبد ملك السماوات والأرض تأخر حتى يتقدم الفقير، فهو أحق منك، فتأخر الفتى منكسرًا، وذهب إلى سيده فاشترى نفسه

(٥٠) في مسلم (٤٩٥٤).

(٥١) رواه البخاري (١٠٧٧)، ومسلم (١٢٦٢).

(٥٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/٤٤٦)، وذكره الحجة الغزالي في الإحياء (٣/١١٨).

وتصدق ببقية ماله وتجرد وأتى إلى البيت، فلما رآني قال: يا شيخ أترى يقبلني مولاي؟ قلت: نعم إنه يدعو المدبرين عنه، فكيف بالمقبلين عليه، قال: جزاك الله خيرًا طيبت قلبي بعدما كان متصدعًا، ثم لزم الشاب العبادة والحزن أيامًا ومات، فرأيته في المنام وهو يخطر في زينة عظيمة، وهو يقول: شتان ما بين الخطرتين، فقلت: حبيبي ما فعل الله بك؟ قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤، ٥٥].

وحكي أن شابًا كان مسرفًا على نفسه، فمرض فقال لأمه: إن الجيران قد كرهوني، فلا تدفنيني في زاوية البيت؛ لئلا يكرهني أهل المقابر ويتضرروا مني ومن مجاورتي؛ ولكن ادفنيني في زاوية البيت، وما زال يبكي على ذنوبه حتى مات، فدفنته في زاوية داره فرآه بعض الصالحين في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ربي، وقال لي: يا عبدي ضيقوا عليك وضيعوك، وأعرضوا عنك وإني لا أعرض عنك برحمتي ولا أضيعك، والمجيب هو الذي يجيب دعوة السائلين ويحقق رجاء الآملين. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

قال الأصمعي: بينما أنا أطوف بالبيت؛ إذ سمعت صوتًا حزينًا في وسط الليل، فتبعته، وإذا برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: إلهي وسيدي ومولاي نامت العيون، وغارت النجوم وأنت الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، إلهي غلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حجابها، وبابك مفتوح للسائلين، وها أنا سائل مسكين متمسك ببابك، أنظر رحمتك يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، ثم يقول بصوت شَجي:

يـا مَـنْ يُجيـبُ دعَـا المـضطرِ في الظُلَـمِ ... يا كاشـفَ الـضرِّ والبلـوَى مـعَ الـسقمِ

قـدْ نـامَ وفـدكَ حـولَ البيـتِ وانتهُـوا ... وأنـــتَ يـــاحيُّ يـــا قيـــوم لمْ تَـــنمِ

إنْ كـــانَ جـــودكَ لَا يرجـــوهُ ذُو زلـــلٍ ... فمَـــن يجـــودُ عـــلَى العاصـــينَ بـــالكرمِ

ثم قال: إلهي إن أطعتك فلك المنَّة عليَّ، وإن عصيتك فلك الحجة عليَّ، فبظهور منتك لديَّ وثبوت حجتك عليَّ اغفر لي وارحمني يا كريم، ثم أنشد يقول:

ألَا يارجـــائِي أنـــتَ كاشـــفُ كربتِـــي ... أقلنِـي ذنـوبِي كلهَـا واقـضِ حـاجتِي

فـــــزادِي قليـــــلٌ لَا أراهُ مبلغِـــــي ... فللـــزادِ أبكِـــي لَا لبعـــدِ مـــسافتِي

عــصيتكَ جهــلاً واعترفــتُ بزلتِــي وأنــتَ الــذِي أرجُــو لفقــرِي وفــاقتِي

أتحرقنِـــي بالنـــارِ ياغايـــةَ المنَـــى فـــأينَ رجـــائِي ثـــمَّ أيـــنَ مخـــافتِي

ثم لم يزل يبكي ويتضرع حتى وقع مغشيًا عليه، فتقدمت إليه، فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب-رضي الله عنهم جميعًا- فجلست وأخذت رأسه، فوضعتها على ركبتي حتى أفاق، فقال: من ذا الذي يشغلني عن مولاي؟ فقلت له: يا سيدي أنت من معدن النبوة، وقد قال الله تعالى فيكم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣]، فقال: أولم تسمع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١] يا أخي من أطاع الله نجا، ولو كان عبدًا حبشيًّا، ومن عصاه هلك ولو كان حرًّا قريشيًّا، وإن من الأولياء من إذا عرضت له حاجة توجه إلى الله تعالى بإظهار التذلل بين يديه، فيغنيه ذلك عن ذكر حاجته، وذلك مثل قول موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

قيل: إن عطاء الأزرق خرج إلى السوق، ومعه درهمان يشتري بهما دقيقًا لأهله، فوجد غلامًا سقط منه درهمًا وهو يبكي خوفًا من سيده، فدفع له الدرهمين ودخل مسجدًا يصلي العصر، ثم خرج فقعد عند صديق له نشار وذكر له القضية، فقال له: ليس عندي شيء ولكن خذ هذا الجراب النشارة، فأخذها ومضى إلى الدار فوضعها في البيت وخرج إلى المسجد فأقام به حتى مضى جزء من الليل، ثم جاء فوجد أهله يخبزون خبزًا، فقال: من أين لكم هذا الدقيق؟ قالوا: من الجراب الذي جئت به، ولا تعد تشتري لنا إلا من هذا الدقيق.

وقال إبراهيم الخواص: رأيت فقيرًا في مسجد أيامًا لا يسأل شيئًا، فأتيت إليه فقلت له: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي الطعام الفلاني، فتوجهت فلم يتيسر لي، فرجعت إليه وجلست عنده، وإذا بشاب قد جاء بالذي طلبه فوضعه بين يديه، وقال: إني صنعت هذا لأهلي، فرأيت في المنام قائلاً يقول لي: إن وليًّا من أوليائي يشتهي هذا الطعام، فاذهب به إليه ليأكل منه، وأطعم أهلك ما فضل عنه ولك الجنة، فقلت: يا رب أنت تطعم وليك وأنا أتعب نهاري كله.

وقال حذيفة المرعشي: سافرت مع إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، فدخلنا الكوفة فآوينا إلى

مسجد خرب فقال: يا حذيفة أرى بك الجوع، فقلت: هو رأى الشيخ، فأخذ قرطاسًا وكتب فيه:

أنــا حامــدٌ أنــا شــاكرٌ أنــا ذاكــرٌ   أنــا جــائعٌ أنــا ضــائعٌ أنــا عــارِ
هــيَ ســتةٌ وأنــا الــضمينُ لنــصفهَا   فكــنَ الــضمينُ لنــصفهَا يابــارِي
قــصدِي لغــيركَ لهــبُ نــارٍ تلتظَّــى   فــأجِرْ عبيــدكَ مــنْ دخــولِ النــارِ

ثم قال لي: اخرج بهذه فأعطها لأول من تلقاه، فخرجت فوجدت شابًا حسنًا على بغلة، فناولته الرقعة فقرأها وبكى، وناولني صرة فيها ستمائة دينار، فسألت عنه فقيل لي: هو نصراني فأتيت إبراهيم فأخبرته بالقصة، فقال لي: ضعها فإنه يأتي الآن، فوضعتها فإذا بالنصراني قد دخل وأسلم لوقته.

وقال عبد الواحد بن زيد: اشتريت غلامًا، فغاب عني ليلة وأتاني بدرهم كبير منقوش عليه صورة الإخلاص، وقال: يا سيدي لك عليَّ كل يوم مثل هذا، ولا تطالبني بخدمة بالليل، فمكث مدة وهو يغيب كل ليلة ويأتيني بدرهم مثل الأول، فرقبته ليلة حتى خرج وتبعته بحيث لا يشعر بي فمشى قليلاً، وإذا نحن بأرض معتدلة فوقف يصلي إلى الصباح، ثم رفع رأسه وبسط يديه وقال: يا سيدي الكبير أعطني أجرة سيدي الصغير، وإذا بدرهم وقع عليه من الهواء فأخذه وغاب عني فلم أره فبقيت متحيرًا لا أعرف الطريق، وإذا أنا بفارس قد أقبل وسلم عليَّ وقال: لا تبرح حتى يأتيك الغلام؛ لأن بينك وبين موضعك مسيرة سنتين، فلما كان في الليلة الثانية أتاني الغلام ومعه طعام، وقال: كل يا سيدي ولا تعد مثل هذا، ووقف يصلي إلى الصبح، ثم أخذ بيدي ومشى فوصلنا إلى موضعنا فخطر لي عتقه، فقال: يا سيدي اعتقني وخذ ثمني من الله فاعتقه، ثم تناول حجرًا من الأرض، فصار ذهبًا في يده فناولنيه ومضى.

وقال لي ابن المبارك ﷺ: خرجنا مرة نستسقي، فإذا بغلام أسود قد اتزر بقطعة خيش وارتدى بمثلها، فوقف لجانبي ثم قال: إلهي اختلقت الوجوه من كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال، وقد حبست الغيث عن عبادك فأسألك يا حليم يا منان يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل، أن تسقيهم الغيث الساعة، فاكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل مكان.

وقال ابن عياد الصيرفي البغدادي: بينما أنا نائم إذ قيل لي في المنام: يا عياد قم فأغث الملهوف، فقلت: وأين هو؟ قيل: لي اركب دابتك فهو حيثما وقفت، فركبت دابتي فجعلت أتخلل أزقة بغداد حتى أتيت إلى مسجد خرب، فوقفت الدابة فنزلت عنها ودخلت المسجد، فإذا بفقير مستقبل القبلة، فسلمت عليه وقلت له: ما قضيتك؟ قال: إني رجل ذو عيال ولم يكن الليلة عندهم شيء فجلست هاهنا وطلبت من الله، قال: فأعطيته مائة دينار وقلت له: أنا ابن عياد الصيرفي، فإن احتجت إلى شيء فأتني، فقال سبحان الله أأترك الذي أقامك من فراشك وأتى بك إليَّ في ظلمة الليل وأذهب إلى غيره؟ فودعته وانصرفت.

وقيل: دخل جماعة على عبد الواحد بن زيد يشكون إليه الحاجة، فرفع يديه وقال: اللهم إني أسألك باسمك المرتفع الذي تكرم به من تشاء من أوليائك، وتلهمه للصفي من أحبابك أن تأتينا برزق من عندك تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء، فأنت الحنان المنان القديم الإحسان الساعة، فإذا بقعقعة من السقف، فتناثرت عليهم دراهم ودنانير، فقال: خذوا واستغنوا بالله عن غيره، فأخذوا ما نزل ولم يأخذ عبد الواحد شيئًا.

وقال يحيى بن سعيد الرازي ﷺ: قلت لعبد الواحد بن زيد لو سألت الله أن يوسع عليك في رزقك لرجوت أن يفعل، فقال: ربي أعلم بمصالح عباده ثم أخذ حصاة، وقال: اللهم إن شئت لتجعلها ذهبًا لكانت فصارت ذهبًا من وقتها، فرمى بها إليَّ وقال: خذها فلا خير في الدنيا، وما العيش إلا عيش الآخرة.

قيل: إن عامر بن عبد الله سأل الله تعالى أن يهون عليه استعمال الماء البارد في الشتاء، فكان يأتي إلى الماء البارد فيجده سخنًا حارًّا، وكان يسأل الله تعالى أن يكفيه شهوة النساء، فأعطاه ذلك.

وقال بِشْرٌ الحَافِيُّ: رأيت الخَـضِرَ ﷺ، فقلت لـه: ادع لي، فقال: هون الله عليك طاعته، فقلت: زدني فقال: وأسبل عليك ستره.

قيل: نزل الثوري الماء ليغتسل، فجاء سارق سرق أثوابه ومضى فيبست يداه، ثم جاء فرد الأثواب فرد يديه إليه فعافاه الله.

وحكي أن امرأة في الطريق لقيت أبا زرعة، فاحتالت عليه حتى دخل بيتها فطالبته بالفعل فأبى فألحت عليه، فقال: اللهم سَوِّد لونها، فإذا هي سوداء من وقتها فبهتت

وفتحت الباب فلما حرج قال: اللهم رد إليها لونها فعادت كما كانت.

وقال ذُو النُّونِ المِصْرِيُّ ﷺ: سرق لرجل قطيفة فاتهموا بها فقير، فقال الفقير: ألا تقولون أقسمت عليك يا رب أن لا تدع في هذا البحر حوتًا إلا وقد جاء بجوهرة، فرأينا وجه الماء كله جواهر ثم مشى الفقير على وجه الماء حتى غاب عنا.

وقال إبراهيم الخواص: كنت في البادية فرأيت راهبًا فسألني الصحبة فمشينا سبعة أيام لم نأكل ولم نشرب، فقال لي: يا راهب الحنيفية هات ما عندك، فقلت في سري: اللهم لا تفضحني، فإذا بطبق عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء بارد، فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام أخر، فبادرته وقلت له: يا راهب النصرانية هات ما عندك، فاتكأ على عصى له ودعا بدعاء خفي، وإذا بطبق جاء مثل الأول، فتحيرت فقال: كل فإني أبشرك ببشارتين، الأولى: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والثانية: إنما سألت الله ببركتك يفتح لي بهذا ولا يفضحني معك، وقد استجاب الله لي فعلمت أن دينك حق.

شعر في المعنى:

وتفوحُ مِنْ طيبِ الثناءِ روائحُ ... لهمْ بكلِّ مكانةٍ تستنشقُ

مسكيةُ النفحاتِ إلَّا أنهَا ... وحشيةٌ بسواهمْ لَا تعبقُ

الأصل العاشر

في الأسماء الدالة على الجلال، والعلو، والرفعة، والعز، والكبرياء والعظمة لله ﷻ

ولها ثلاثة معان:

الأول: هو التنزيه عن النقائض.

والثاني: كمال القدرة والقهر.

والثالث: تعاظمه عن إدراك الأوهام وتعاليه عن إحاطة الأفهام؛ لأن أوصاف كماله لا يحصيها أحد من الخلق وهو المراد، فلا يدركه فهم ولا يحيط به وهم.

وقال ﷺ: **«لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**(٥٣)، وجميع أسماء الله تعالى تنقسم إلى تسبيح وتحميد وتكبير، فالتسبيح نفي النقائض، فهو ﷻ موجود قديم باق صمد واحد، وهو معنى قول سبحان الله، والتحميد ذكر أوصاف الكمال، فإنه ﷻ عليم قدير مريد سميع بصير متكلم، وهو معنى الحمد لله، والتكبير إثبات الجلال.

والله سبحانه أجل من أن يحيط به العقل، وأعظم من أن يدركه الوصف، وهو معنى الله أكبر أي: أكبر مما وصفناه، وإنما علمنا من حسن ثنائه ما تطيقه عقولنا، وجعل اعترافنا بالعجز عن الإدراك، فإذا ثبت العلم بموجود بريء من النقائض، فهو موصوف بالكمال منفرد بالجمال، ثابت أنه لا إله إلا هو الكبير المتعال، ثم ثبتت الوسائط بحكم الشرع، وبرد الفعل إلى الله تعالى توحيدًا بقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومعناه: أن أفعالنا خلق الله تعالى؛ ولذلك سميت هذه الكلمات الباقيات الصالحات، وهي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وثمرة معرفة الجلال التعظيم والهيبة والخوف والخشية والحياء والخجل.

باب في اسم الله ﷻ العلي العظيم

قال الله تعالى عن نفسه الشريفة: وهو العلي العظيم العلي العالي الأعلى المتعالي الذي علا جده وتعالى مجده عن الحد، والرسم، والحجز، والمنع، والإيجاب، والحاجة، والمساواة. ويقال: العلي الذي لا تدركه العقول تكييفًا.

(٥٣) تقدم تخريجه.

ويقال: الأعلى الذي لا يسأل عما يفعل، ولا يحاسب عما يقبض.

ويقال: العلي الذي لا تصل العقول إلى إدراك ما له من الوصف.

ويقال: الأعلى الذي كل من سواه تحت قهره.

ويقال: المتعالي الذي لا تطاق سطوته.

ويقال: العلي الذي بقدرته الخفض والرفع والأحكام والنقض والإبرام، يعلي قدر من يشاء ويخفض قدر من يشاء، وهو الرفيع المرتفع القدر الجليل الوصف، وقال ﷺ: «اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ»[٥٤]، قال الله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ﴾ [غافر:١٥] معناه: مرتفع القدر عن النقائص.

وقيل: رافع من يشاء والدرجات درجات الملائكة في صعودها وهبوطها، فهو رافع الملائكة إلى تلك الدرجات، قوله تعالى: ﴿مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ * تَعْرُجُ المَلائِكَةُ﴾ [المعارج: ٣، ٤] واستواؤه تعالى استواء تنزيه عن مشابهة الخلق، استوى من غير تشبيه ولا تكييف ولا تحديد ولا تقدير ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] العظيم الذي تعاظم في ذاته عن الحد والإحاطة والتكييف، وجل في صفاته عن النقائص والتشبيه، وتفرد بالقهر والملك، فلا منازع له فيما يقضيه.

ويقال: العظيم الملك القادر على الإطلاق، فلا يعجزه شيء.

ويقال: العظيم المستحق لأوصاف الكمال.

ويقال: العظيم الذي هو المستحق للطاعة، فيجب التذلل والخضوع لعزه.

ويقال: العظيم الذي يلتجئ إليه المنقطعون ويفتخر.

ويقال: العظيم المستحق للربوبية المنفرد بالإلهية، فلا يحتاج إلى أنصار، ولا أعوان، ولا يحده الزمان، ولا يحويه مكان.

ويقال: العظيم الذي لا يرتقي وهم إلى تصويره، ولا يطمع فهيم في تقديره.

ومن عرف أن الله تعالى هو العلي العظيم امتلأ قلبه بتعظيمه، وإجلاله، وهيبته، وتنظيم أوامره ونواهيه، والتعظيم معنى في القلب زائد على العلم بوجود الله تعالى.

---

(٥٤) رواه البخاري (٢٨١٢).

وقد ورد في الحديث: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله فإنكم لا تقدرون قدره»[٥٥] معناه: لن تصل عقولكم إلى إدراك عظمته فتفكروا في صنعته، قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وقيل: إن إسرافيل عليه السلام له اثنا عشر جناحًا ستة منها بالمشرق وستة منها بالمغرب، والعرش على كاهله ورجلاه تحت الأرض السابعة، وأنه ليتضاءل أحيانًا من هيبة الله ﷻ حتى يصير مثل الوصع[٥٦] وهو العصفور، وأنه إذا رفع صوته بالتسبيح عطل على الملائكة تسبيحهم من حسن صوته وطيب نغمته.

وقيل: إن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح كلها مرصعة بالدر والياقوت وقلائد الذهب محشوة بالمسك لكل جلجل صوت لا يشبه الآخر لو نشر منها جناح لسد الخافقين.

وروى أن العرش له ألف لسان يسبح الله تعالى بألف نوع من التسبيح، وأن نور العرش لو بدا لضعف نور الشمس معه، كما يضعف السراج في الشمس.

وقال كَعْبُ الأَحْبَارِ: ما من عبد في الأرض إلا وله مثال تحت العرش على الحالة التي يكون عليها في الأرض وعلى عمل سيئة أرخى الستر عليها إكرامًا من الله تعالى، فسبحان من أظهر الجميل وستر القبيح.

ورُوي أن: ملكًا من الملائكة سأل الله تعالى أن يريه العرش، فخلق له ثلاثين ألف جناح، فطار ثلاثين ألف سنة ولم يقطع قائمة من قوائم العرش، فسأل الله تعالى أن يرده إلى مكانه، فرده إلى مكانه وتسبيح هذا الملك «سبحان ربي الأعلى».

ورُوي أن ملكًا من ملائكة الله يسمى الروح له ألف وجه في كل وجه ألف لسان، كل لسان يسبح الله بسبعين ألف لغة، لو سمع تسبيحه أهل الأرض لذهبت أرواحهم ولو سلط على السماوات والأرض لابتلعها من أحد شدقيه، إذا ذكر الله تعالى خرج من فيه قطع من النور كأمثال الجبال العظام مسيرة ما بين قدميه سبعة آلاف سنة له ألف جناح، يقوم يوم القيامة وحده، والملائكة وحدهم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفاً لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ [النبأ:٣٨].

---

(٥٥) رواه أبو الشيخ في العظمة (١/ ٢١٠)، واللالكائي في أصول السنة (٣/ ٢٢٤).

(٥٦) الوَصِعُ: صوت العصفور.

واعلم أن من غلب على عقله تعظيم الله خضع لهيبته، ورضي بقسمته ولم يرض بدونه عوضًا ولم ينازع له اختيارًا، ولم يرد عليه حقًّا، ولم يرددونه شيئًا، وكان لأهل الخيام كتراب الأقدام، وتحمل في طاعته كل مقدور، وبذل في رضاه كل ميسور.

قيل: جاء رجل إلى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ وكان واقفًا يحصد، فقال له: إني كنت عبدًا من عبيد أبيك، فهربت منه واكتسبت عشرة آلاف درهم، واشتريت جارية واستولدتها وقد رزقت منها أولادًا والجارية والأولاد والمال ملك لك، فقال له إِبْرَاهِيمُ: إن كنت صادقًا، فكلكم أحرار لوجه الله تعالى، والمال صدقة عليكم، ثم بقي على حصاده يكتسب ويأكل منه.

وحُكي عن دَاوُدِ الطَّائِيِّ أنه لما مات وقف عليه ابْنُ السَّمَّاكِ فقال: يرحم الله أبا سُلَيْمَان نظر بقلبه إلى ما بين يديه من آخرته، فأغشى بصر القلب بصر العين، فكان لا ينظر إلى ما إليه ينظرون يا داود ما كان أعجب شأنك بين أهل زمانك، أهنت نفسك وإنما أردت إكرامها، وأتعبتها وإنما أردت راحتها وأمنها قبل أن تموت، وقبرتها قبل أن تقبر تفقهت، وتركت الناس يفتون، وسمعت الحديث وتركتهم يحدثون، وسكت عن القول وتركتهم ينطقون لم تكن تحسد الأخيار، ولا تغتاب الأشرار، ولا تقبل من سلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، أقرب ما تكون إذا كنت بالله خاليًا، وأبعد ما تكون إذا كانت من الناس حاضرًا، سجنت نفسك في بيتك، فلا جليس عندك ولا فراش في بيتك ولا ستر على بابك، يا داود لم تكن لتشتهي من الطعام أطيبه، ولا من اللباس ألينه، ولكن خدمت ووجدت ما بين يديك فما أصغر ما بذلت في جنب ما أملت، ولا أراك إلا قد ظفرت بما طلبت، فرحمة الله ورضوانه عليك.

فكلما قوي تعظيم الله في القلب استصغر العبد نفسه واستقل عمله، لأن الله إذا تجلى لشيء خشع له وكان أكابر السلف ﷺ أصحاب خوف وانكسار كانوا إذا حضروا جنازة، فلا يعرف صاحب الميت بينهم.

وقيل: كان الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ على الدوام، كأنه قريب العهد بمصيبة.

وقيل: كان عطاء إذا أصاب أهل البصرة بلاء يقول: هذا بذنوبي لو مات عطاء لاستراح أهل البصرة.

وحكي عن مَسْرُوق أنه سمع قارئًا يقرأ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مريم:٨٥، ٨٦]، فاضطرب، وقال للقارئ: أعد عليَّ، فما زال يعيد عليه حتى وقع ميتًا، فهو من قتلى القرآن.

وقيل: إن بعضهم كان يقد تحت قدر، فقالت ابنته: يا أبت قد اسودَّ وجهك، فوقع مغشيًّا عليه.

وحكي عن مَالِكِ بْنِ دِينَارَ ﷺ أنه خرج ومعه محمد بن واسع وثابت البناني وحبيب العجمي وصالح المري ﷺ متوجهين إلى الجبانة لزيارة مسعود الضرير، فقال صالح لنا: قفوا، فوقفنا على باب المسجد حتى جاء مسعود فأذَّن بصوت ضعيف، ثم دخل فصلى وصلينا معه، ثم جلس كهيئة المهموم، فتقدم إليه محمد بن واسع فسلم عليه، وقال: أنا محمد بن واسع، فقال له: مرحبًا وأهلاً أنت ومن معك الذين يزعمون هؤلاء إنك أفضلهم يعني أهل البصرة إني قمت بشكر ذلك لله أجلس، فتقدم ثابت البناني فسلم عليه، وقال له: أنا ثابت البناني، فقال له: مرحبًا أنت الذي يزعم هؤلاء إنك أكثرهم صلاة اجلس فلقد كنت أتمناك على ربي، فتقدم إليه حبيب العجمي وسلم عليه، وقال: أنا حبيب العجمي، فقال: مرحبًا يا حبيب أنت الذي يزعمون هؤلاء إنك لا تسأل الله شيئًا إلا أعطاك إياه اجلس يرحمك الله وأخذ بيده فأجلسه إلى جانبه فتقدم إليه مالك بن دينار فسلم عليه وقال له: أنا مالك بن دينار، فقال له: أنت الذي كما يقولون ما أنت مالك وإلا مملوك اجلس الآن تمت أمنيتي على ربي، ثم قال: انظروا كيف تكونون في مجمع القيامة بين يدي الله ﷻ، قال صالح المري: فتقدمت إليه وسلمت عليه، وقلت له: أبا صالح المري، فقال: أنت الفتى القارئ قلت: نعم، قال: اقرأ يا صالح، فلقد كنت أتمناك من الله وأحب أسمع قراءتك، قال صالح: فحضرني ما كنت قد نسيته، وقرأت قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ [الفرقان:٢٣]، فما أتممت الآية حتى وقع مغشيًّا عليه، ثم جلس وبقى باهتًا فاتحًا فاه، فقرأت قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَراً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان:٢٤]، فصاح صيحة واضطرب ساعة، ثم سكن فحركناه فإذا هو ميت قد فارق الدنيا- رحمة الله عليه.

قال مُحَمَّدُ بْنُ مَيْسَرَةَ ﷺ: خرجت يومًا طالبًا بعض الأدوية، فإذا أنا برجل عليه لباس المتعبدين وهو جالس إلى جانب صخرة كأنه يخاطب أحدًا، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام، ثم أطرق كهيئة المهموم، فجلست إلى جانبه فقام وتركني، فقلت: يرحمك الله أسألك عن شيء، فقال: يا هذا إن المسائل كثيرة فرغ منها من كان قبلنا، وما بقى علينا نحن إلا العمل، فاستغن بقليل الموعظة عن كثيرها، ثم قال: استغفر الله لقد أكثرنا الكلام، وإن إكثار الكلام من أسباب القطيعة، فقلت له: أوصني، فقال: أوصيك بطاعة الله فيما

فرض عليك، وأنهاك عن معصية الله فيما نهاك عنه، فإذا عملت حسنة فردها إلى الله واشكره على تيسيرها، وإذا عملت سيئة فتضرع إلى الله واسأله الصفح عنها، وإذا رأيت نعم الله قد أقبلت إليك فاصرفها فيما أمرت به وخذ في الشكر عليها، وإذا رأيت الضراء قد أقبلت إليك فاستقبلها بالصبر والتضرع إلى الله، فإنه المالك لكشفها وكن خائفًا من الله في جميع أمورك والسلام، ثم مضى وتركني.

وقيل: إنَّ بِشْرًا الحَافِيَّ ﷺ قال: لقيت رجلاً في طريق الشام عليه عباءة وهو كالوحش، فقلت له: من أين أنت؟ فقال: من عنده، قلت: وإلى أين تريد؟ قال: إليه، قلت: فبم تكون النجاة يرحمك الله، قال: في التقوى والمراقبة، قلت: أوصني، قال: فر منهم ولا تأنس بهم ولا تتعرض إلى الدنيا فإنها تعرضك للغضب، فإن أولياءه عرفوه فاستأنسوا به، فالأمر بينهم وبينه سليم، قال بشر: فسألته الصحبة فأبى، وقال: إنني لا أنساك فلا تنساني، ثم مضى وتركني.

قال أبو سليمان الداراني ﷺ: بينما أنا سائر في بعض جبال بيت المقدس، وإذا أنا برجل على رأس جبل فصعدت إليه، وإذا هو ساجد وهو يقول: إليك خشعت قلوب العارفين، وعليك عكفت رهبة الخائفين، وبك استجارت أفئدة المقصرين، فيا ولي المؤمنين، ويا مأمل الراجين، ويا راحم العاصين ارحم عبيدك إذا بعثرت القبور وكشفت الأمور وهتكت الستور، فوقفت حتى رفع رأسه وجلس وسلم، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام، فقلت له: إذا كنت أنت تقول هكذا فكيف بأصحاب الذنوب؟ فقال: إليك عني يا هذا فما رأيت شيئًا أنفع للغريق من الدعاء، ولا أبلغ لصلاح القلوب من ترك الدنيا، ثم قال: اعلم أن قول المرء اليوم داء ليس له دواء، فبادر التفريط بالندم، وكابد التسويف بالعزم على العمل، واهرب من الخلق والسلام.

وحكي عن بعضهم إنه مر بعابد في رأس جبل، فقال له: متى تخلو القلوب من حب الدنيا، فقال: والله لا يخلو القلب من حب الدنيا والعين تنظر أهل الدنيا، والأذن تسمع كلامهم حتى يهرب المريد إلى الجبال، ويشارك الوحوش في مراعيها ومواردها، فلا يرى أن نعمة من نعم الدنيا أتم مما هو فيه.

وحكي أن أُوَيْسًا القَرْنِيّ ﷺ مرَّ بعابد في صَوْمَعة، فقال له: لم لزمت الوحدة؟ فقال: يافتى لو ذقت حلاوة الوحدة لاستأنست إليها الوحدة رأس العبادة، وأقل ما يجد العبد في الوحدة الراحة من مدارة الناس والسلامة من شرهم، قال: قلت له فأين الطريق إلى

الراحة؟ قال: في مخالفة الهوى، قلت: بم يقطع العابدون الأوقات؟ قال: بالسهر الدائم والظمأ في الهواجر، قلت: فمتى يجد العبد الراحة؟ قال: إذا وضع قدمه في الجنة، قلت: فلم هربت من الناس؟ قال: إنهم يسرقون العقول، قلت: بم يستعان على الزهد في الدنيا؟ قال: بقصر الأمل وذكر الموت ودوام العمل، قلت: فكيف يرتحل حب الدنيا عن القلب؟ قال: بهروب العبد إلى الفَلَوات وأطراف الجبال ورضاه بمرابط الوحش، قلت: فمتى تسكن الحكمة القلب؟ قال: حين يراك الله حرًّا من رق الشهوات.

وحُكي عن هرم بن حيان ﷺ أنه كان يقول: لم يكن بي هم إلا طلب أويس القرني حتى وجدته على شاطئ الفرات في وسط النهار وهو يتوضأ فعرفته بما كان وصف لي من شكله، وكان أسمر اللون كث اللحية عليه مهابة وهو صغير جدًا، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا أويس، فقال: عليك السلام يا ابن حيان، من دلك عليَّ؟ فقلت: الله، فقال: لا إله إلا الله سبحان ربنا إن كان وعد ربنا مفعولا، قلت: ومن أين عرفتني؟ قال: نبأني العليم الخبير، فعرفت روحي روحك، فقلت له: حدثني عن رسول الله ﷺ حديثًا أحفظه عنك، فقال: إني لم أكن بأرض رسول الله ﷺ، ولم يكن لي معه صحبة، ولكني رأيت رجالاً كانوا يصحبونه، وقد رأوه موقد بلغني من حديثه مثل ما بلغك، وما أحب أن أفتح عليَّ هذا الباب يا هرم بن حيان في النفس شغل عن الناس، قلت: فاتلُ عليَّ من آيات كتاب الله وأوصني فتعوذ وبسمل وبكى، ثم قال: قال ربي وأحق القول قول ربي، وحسن الكلام كلام ربي تعالى، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون﴾ [الدخان:٣٨، ٣٩]، وشهق وأطرق مغشيًا عليه، ثم أفاق وقال: يا هرم بن حيان توفي رسول الله وتوفي أبو بكر الصديق [وولي] عمر بن الخطاب، وكان ذلك في آخر خلافة عمر، فقلت: أما عمر فهو حي، قال: إن ربي ﷻ قد نعاه إلى أن كنت تفهم، وأنا وأنت في الموتى، ثم صلى على النبي ﷺ ودعا بدعوات خفيفة، ثم قال: أوصيك بكتاب الله وسنة رسوله وبقايا الصالحين ولصلاة على رسول الله، وذكر الموت واستودعتك لله والسلام عليك، ثم ولى فسألته أن أمشي معه ساعة فأبى، وقال لي: أحب الوحدة وأكره العشرة، ففارقته ولم أره بعد ذلك ولم أسمع له خبرًا.

قال بعض الحكماء: مررت بصومعة بها راهب، فقلت له: يا راهب ما معبودك؟ فقال: الذي خلقني وخلقك، فقلت: هو عظيم؟ فقال: عظيم في المنزلة لا في الجسم؛ لأنه ليس كمثله شيء، قلت: فما الذي قطع الخلق عن الله بعد أن عرفوا والذي وصل بهم إليه بعد أن جهلوا؟ قال: قطعهم عنه حب الدنيا؛ لأنها أصل المعاصي، وأوصلهم إليه تركها،

قال: تركها ثلاث منازل:

أولها: العفة عن الحرام من القول والفعل والعزم على ذلك حتى تطع الله فيمن عصاه، ويعتدل عندك الصديق والعدو ويصيران في الحق واحد، فعند ذلك تنفجر ينابيع الحكمة من صدرك وتتداعى بصائر الهدى بنور الإيمان عليك.

الثاني: ترك فضول الحلال من المقال والمنازل والفعال حتى ترحم من ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك وهي الفضيلة.

الثالث: العبادة، وترك العلو والرياسة وصحة الصحبة، وحسن اليقين بالتوبة، والتواضع وثمرته العمل.

فقلت: الله صبرك على الوحدة، وأعانك على طاعته والسلام عليك، فقال لي: وعليك السلام، فتركته وانصرفت عنه والسلام.

باب في اسم الله ﷻ العزيز الكبير

قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ [النساء: ٣٤]، فالعزيز هو الله الذي لا مثال له يقال عز الشيء يعز بكسر العين إذا قل وجود مثله، فالذي لا مثل له أولى بأن يسمى عزيزًا.

ويقال: العزيز الذي لا يرام، ولا ترتقي الأوهام إلى جلاله، ولا تسمو الأفهام إلى صمدانيته، كلت العقول عن إدراك بحار تعظيمه، وحارت الألباب عن إدراك نعته، وعجزت الألسن عن استيفاء وصف جلاله ومدح جماله ﷺ بعد ما بلغ في ثنائه ووصف كبريائه «**لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[٥٧]، وأنشد بعض العارفين:

قــدْ كلَّــتْ الألــسنُ والعقــولُ عــنْ	إدراكِ وصـــفِ الـــصمدِ الحـــي
فكـــلُّ مَـــنْ بـــالغَ في وصـــفهِ	أصـــبحَ منـــسوبًا إلَى العـــي
تعظيمـــهُ بـــالعجزِ عـــنْ إدراكـــهِ	يلفِـــي ولـــيسَ الرشـــدُ كـــالغي
وإنْ صـــغَى القلـــبُ بتحميـــدهِ	أصـــبحَ طـــولُ النـــشرِ في طـــي

وقيل: العَزِيزُ الغَالِبُ إِنْعَامُه القَاهِرُ.

---

(٥٧) تقدم تخريجه.

يقال: عَزَّ يَعُزُّ بضم العين أي: غلب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣] أي: غَلَبَنِي.

وقيل: العَزِيزُ القَوِيُّ القَادِر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس:١٤] معناه: قوينا. وقيل: العزيز الْمُعِزُّ لأوليائه، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ [فاطر:١٠]، فعِزُّ الله له وصفٌ، وعِزُّ المؤمنين له خلقٌ وملكٌ. قال الله تعالى ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، فلله تعالى عزيز بعزته والمؤمنون عزيزون بالله ﷻ.

وقيل: العَزِيزُ الذي يخوف بالتهديد، ولا يمتنع عليه فعل ما يريد.

ويقال: العَزِيزُ الذي ليس لأحد عليه سطوة.

وقيل: العَزِيزُ الذي يكثر نفعه.

وقيل: العَزِيزُ الذي لا يصح عليه النقص.

وقيل: العَزِيزُ الذي إليه يلجأ الهاربين، وعنده طلب الراغبين وعليه طريق المارقين.

ومن عرف أنَّ الله تعالى هو العَزِيزُ اعْتَزَّ به وتَذَلَّلَ بين يديه ولم يشتغل عنه بغيره ولم يستكثر شيئًا يبذله في مرضاته، وقد أنشد بعضهم:

أذلَّ فأعزَّ به من ذلَّ ... ومَنْ طالبَ لذَّ في مستحلى
إذَا ما تعزَّزَ قابلتهُ ... بذلٍّ وذاكَ منْ جهدِ المقل

ومن عرف أن الله هو العَزِيزُ أعزَّ أمره وطاعته، فمن استهان بأوامره فهو غير عارف به.

قال بعضهم: منذ عرفت الله ما عصيته.

وقال آخر: ما هممت بمعصية إلا ناداني منادٍ من قلبي استحي منه، فإنه يراك.

قال رجل لبعض العارفين: كيف الطريق إلى الله؟ قال: لو عرفته عرفت الطريق إليه، قال: فكيف أعبد من لا أعرفه؟ قال: له كيف تعصي من تعرفه؟

ومن عرف أن الله هو العزيز لا يخاف من غيره ولم يذل في حاجته لسواه، وقد ورد

في الحديث: «من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه»(٥٨).

قال الشيخ أبو علي الدقاق: إنما ذهب ثلثا دينه؛ لأنه مأمور أن يعظم الله، ويخضع له بقلبه ولسانه وجوارحه، وإذا عظم مخلوقًا مثله ذهب دينه كله.

ويقال: إذا عظم الرب في القلب صغر كل ما سواه في العين، وليس المراد بذلك احتقار الخلق، وإنما المراد عدم التعلق بهم والخوف منهم والرجاء والأنس بهم اكتفاء بالله ﷻ.

قال ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ: إذا أعز الله العبد ألهمه ملازمة خدمته وطاعته، وإذا أراد الخلق كلهم أن يثبتوا للعبد عزًّا فوق ما يثبته الله له بيسير معصيته لم يقدروا على ذلك.

وحُكي أنَّ هارون الرشيد غضب على فقير، فأمر أن يربط مع بغلة كانت كثيرة العبث، فربط معها فلم تضره، فأمر بإحضاره وجعله في بيت وسد عليه الباب ليمتحنه بذلك، فلما أصبح وجده يمشي في البستان، فقال له هارون: من أخرجك من البيت؟ فقال: الذي أتى بي من البيت إلى البستان، فمضى إلى البيت فوجد بابه مسدودًا على حاله لم يتغير، فأمر به الرشيد وأركبه فرسًا ونادى عليه: ألا إن هارون أراد أن يُذِلَّ رجلاً أعزه الله، فلم يقدر.

وقال بعضهم: رأيت رجلاً يطوف بالبيت وبين يديه غلمان يطردون الناس عنه، ثم رأيته بعد قليل على الجسر ببغداد يسأل الناس، فوقفت أنظر إليه ساعة ففهم عني، فقال: أنا ذلك الرجل الذي تكبر في موضع تتواضع الناس فيه، وقال شعرًا في المعنى:

وقوفي على بابِ العزيزِ نعيمٌ ... وعِزِّي فِي ذلِّي ببابِ كريم

وبابٌ سواهُ لهبُ نارٍ وخلةٌ ... وفقرٌ وخسرانُ وطولُ همومِ

ولمْ أرَ مثلي منْ يفارقُ حبهُ ... ويقرعُ بالتطفيلِ بابَ جحيم

فليس إعزاز الله للعبد لسبب؛ ولكن بمحض الكرم فمن أعَزَّه يسر له سبيل الطاعة، ومن أراد خذله صرفه عن خدمته ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

---

(٥٨) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣١٦).

[آل عمران:٢٦]، وهو الكبير الذي تفرد بالكبرياء والجلال في ذاته وصفاته، ولا منازع له في مراده. ويقال: الكبير المقصود بذلك نفي النقائص، وإثبات الكمال، وعجز جميع المخلوقات، وافتقار الكل إليه. ويقال: الكبير الذي لا يقع عليه المقدار، ولا تحده الأفكار، ولا تدركه الأبصار، ولا ترد عليه فيما يشاء ويختار. ويقال: الكبير العظيم في ذاته قبل تعظيم خلقه. ويقال: الكبير الذي لا يقدر أحد أن يعظمه كما يجب لحقه، فكل تعظيم وصلت إليه القلوب أو نطقت به الألسن، فهو على قدر ما أعطى من معرفته، وهو أكبر وأجل من أن يحصى ثناؤه أو يدرك كبرياؤه. ويقال: الكبير الذي لا يلحقه نقص، فيتجبر بكثرة المخلوقين، ولا ينزل بساحة صمديته وهن، فيبتغي توحيده الموحدين، فمن وفقه لتعظيمه فقد أجله، ومن ألهمه فقد رفع محله، كما قيل عن بعض العارفين:

ومتـى أقـومُ بـشكرِ مَـا أوليتنِـي والقـولُ في غلـوٍّ قـدرِ القائـل

وقال: إذا اعترف المادح بالعجز عن الثناء فقد أتى بالمدح، كما قال الصديق ﷺ: سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته؛ لأنه هو الذي شرف قدره بالمدح ورأى الذي يمدحه أنه غني عن مدحه فقد بذل مجهوده.

قال بعض المادحين:

مَـا إنْ مـدحتُ محمـدًا بقـصيدتِي بـلْ قـدْ مـدحتُ قـصيدتِي بمحمـد

ويقال: الأكْبَر الذي كل شيء تحت قهره، ولا مشارك له في الكبرياء الذي هو وصفه؛ لأنه تفرد بالقدم والكمال، وكل من سواه موسوم بالحدوث والزوال.

ويقال: المُتَكَبِّرُ هو الذي لا قدر لشيء عنده إلا بفضله، ولا مُعَقِّب لحكمه وفعله، ولا يخلق للنفع، ولا يقرب للدفع، ولا ينتهي الغاية يرجع إليه، ولا يشرف بكثرة الأولياء، ولا ينحط قدره بكثرة الأعداء، ولا يضره أعراض المعرضين، ولا ينفعه إقبال المقبلين.

ويقال: المُتَكَبِّرُ الذي أظهر آثار كبريائه بإبعاد الجاحدين، وتعذيب الكافرين، والتكبر في وصف الله تعالى كمال وهو حقه؛ لأن الكبرياء وصفه، والتكبر إظهار الكبرياء، والتكبر في المخلوقين نقص؛ لأنه صغير في الحقيقة، فإظهار الكبرياء باطل وهو حمق ورعونة.

وفي الصحيح يقول الله ﷻ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا

مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ وقَصمتُه»(٥٩) أي: قطعته.

ومن عرف الله هو الكبير تواضع لعظمته، وخاف من سطوته، ولم يخف من أحد سواه، ولم يستكثر طاعته، ولم يعتمد إلى على كرمه.

وقيل: مَنْ تَمَكَّن التَّعْظِيم من قبله خشع قلبه وخمدت نيران نفسه، وأشرق نور التعظيم في قلبه، وظهر التواضع على جوارحه، والخشوع في باطنه، وأثر التواضع في ظاهره؛ لأن الكبر أصله في الباطن وتأثيره في الظاهر، وأكثر الكبر الكفر.

وقال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو معنى الحديث: «يدخل النار مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، ولا يدخلها مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمان، قيلَ يَا رسُولَ الله: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»(٦٠).

ويقال: الكِبْر بطر الحق، وغَمْص الناس بمعنى إنكار الحق واحتقار الناس، وأما كبر المسلم بأن يرى له فضلاً على غيره لعلمه وعبادته، أو بماله، أو نسبه، أو غير ذلك، فهي غفلة عن منة الله تعالى، وإعجاب النفس، وهي من الكبائر.

وروى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ: «أَنَّ رسول الله ﷺ كان يَعْلِفُ الْبَعِيرَ، وَيُقِيمُ حَوَائِجَ الْبَيْتِ، ويَخْصِفُ النَّعْل، وَيُرَقِّعُ الثوب، ويحلب الشاة، وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ وَيَطْحَنُ مَعَهُ إِذَا عَيِيَ، وَكَانَ لَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ أَنْ يَحْمِلَ بِضَاعَتَهُ مِنْ السُّوقِ إِلَى أَهْلِهِ، وَكَانَ يُصَافِحُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ وَيُسَلِّمُ مُبْتَدِئًا وَلَا يُحَقِّرُ مَا دُعِيَ إِلَيْهِ وَلَوْ إِلَى حَشَفِ التَّمْرِ، وَكَانَ هَيِّنَ الْمُؤْنَةِ لَيِّنَ الْخُلُقِ كَرِيمَ الطَّبِيعَةِ جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ طَلْقَ الْوَجْهِ بَسَّامًا مِنْ غَيْرِ ضَحِكٍ مَحْزُونًا مِنْ غَيْرِ عُبُوسَةٍ مُتَوَاضِعًا مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ جَوَادًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ رَقِيقَ الْقَلْبِ رَحِيمًا بِكُلِّ مُسْلِمٍ لَمْ يَتَجَشَّأْ قَطُّ مِنْ شِبَعٍ وَلَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى طَمَعٍ ﷺ»(٦١).

ومن أسماء الجلال البَاطِنُ، وقد تقدَّم ذكره، وكذلك المجيد والكريم، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

---

(٥٩) رواه أبو داود (٣٥٦٧)، وابن ماجه (١٤٦٧).

(٦٠) رواه مسلم (١٣١)، وابن حبان (٥٥٥٨).

(٦١) رواه مسلم (١٣١)، وابن حبان (٥٥٥٨).

باب في اسم الله تعالى ذو الجلال، والإكرام

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

روى رَبِيعَةُ بْنُ عَامِرٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام»[٦٢]، وهو اسم عظيم به تعلق كثير من أصحاب الإشارات لما فيه من معنى الجلال والجمال.

وقد اختلف العلماء في معنى الجمال، فمنهم من قال: معناه نفي النقائص، كما قال في الجلال، وكذلك الإكرام بمعنى الإعظام، والإجلال والكرم ورفع القدر.

ومنهم من قال: الجمال بمعنى الرأفة والرحمة، والجلال بمعنى القهر والسطوة والتخوف، والجمال للترغيب.

وهذا مذهل أهل الحقائق والإشارات، وقد وردت أسماء متفرقة فيها معنى الجلال والجمال أعمها ذو الجلال والإكرام، ومعنى تبارك أي: تعاظم وتعالى وأصل البركة الكثرة، فمعناه في حق الله: كثرة أوصاف الكمال، وتعاليه عن الإحاطة والحد.

وقيل: تَبَارَكَ، دَامَ وبَقَى.

وقيل: تَبَارَكَ، كثر خيره وبره ونفعه، والبركة الدوام والبقاء، وكثرة الخير والنفع، ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص:٢٩] أي: كثير الفوائد دائم لا يتغير، ولا ينسى كثير النفع لمن آمن به، ومنه قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١] أي: نفَّاعًا للناس، ومعنى الآية: تعاظم ربك ذو القهر والسطوة والجلال والإكرام والكرم والرأفة والجمال، فهو المجيد الرفيع القدر.

ومنه قوله تعالى: ﴿ذُو العَرْشِ المَجِيدُ﴾ [البروج:١٥] من رفعه فهو عنده نعت الله، ومن خفضه فهو نعت للعرش.

وقيل: المَجِيدُ الرَّفِيعُ القَدْرِ، الكثير النفع الذي عظم قدره وكثر خيره، ففيه معنى الجلال والجمال.

وقيل: المَجِيدُ بمعنى الماجد الذي يمجد من يشاء، فيرفع قدره بإكرامه.

وقيل: المَجِيدُ هو الذي من أوصافه جميل العطاء.

---

(٦٢) ذكره القشيري في الرسالة (١/ ٦٩)، والغزالي في الإحياء (٣/ ٤٣).

وقيل: الجميل هو الذي علا قدره عن الإحاطة، وما مدح به غيره فهو من فضله.

ومن أسمائه تعالى الماجد والمجيد والكريم، والأكرم يصلح للجلال والجمال والمقدم والمؤخر الذي جعل لكل مخلوق وقتًا مخصوصًا وقدرًا محدودًا، فخلق جميع الأشياء على ما أراد، وعلم من الأوقات والصفات فيقدم من يشاء فيهذبه ويوقفه بقربه، ويؤخر من يشاء فيضله ويغويه ويبعده.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤]، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر:٣٧] هذا ظاهر الأمر، فينبغي للعبد أن يعمل بطاعة الله؛ ليتقدم عند الله، وفي الحديث: «فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[٦٣].

حُكي أنَّ بعض الصالحين عُوتب في كثرة اجتهاده، فقال: ومن أولى بهذا مني، وأنا أريد أن ألحق السابقين:

الحذارِ الحذارِ قولاً وفعلاً حذرُ النفسِ حسرةُ المسبوقِ

فمن ظنَّ أنه يسبق أو يصل بغير اجتهاد فهو متمنٍ، ومن ظن أنه يصل بالعمل، فهو متعن، والعارف يجتهد في العمل امتثالاً للأمر وقلبه معتمد على الله ناظر إلى الحكم، وقد ورد في الحديث المشهور في الأسماء: الخافض الرافع المعز المذل، خفض ما شاء من المخلوقات كالأرض وما فيها، ورفع ما شاء كالسماوات والملكوت الأعلى، وخفض قدر من يشاء بخذلانه وحرمانه، ورفع قدر من يشاء بهدايته وعرفانه، رفع الحق ودليله، وخفض الباطل وسبيله، رفع أولياءه لحفظ عهده، وحسن وده، وجميل رفده، وصدق وعده، وخفض الأعداء بصده وطرده وبعده.

ويقال: من رضي بدون قدره، رفعه فوق غايته وليس المرفوع قدرًا، والمعلي شأنًا وأمرًا، والمستحق مجدًا وفخرًا من يترفع على النظير ويتكبر على المساكين، وإنما المشرف شأنًا، والمعلي رتبة ومكانًا من رفعه الله بتوفيقه وهداه إلى سلوك طريقه، فصفا مع الله قلبه، وخلا لله وجهه، وصعد إلى السماء أنينه، وصدق لله شوقه وحنينه.

وفي الحديث: «رب أَشْعَثَ أَغْبَرَ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّ قَسَمَهُ»[٦٤].

---

(٦٣) رواه البخاري (٤٥٦٨).

(٦٤) رواه الترمذي (٣٧٨٩).

وفي الحديث: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا أيها الناس إني قد جعلت نسبًا وجعلتم نسبًا، فوضعتم نسبي، ورفعتم نسبكم قلت: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وأبيتم إلا فلان بن فلان، وفلان أغنى من فلان، فاليوم أضَع نسبكم وأرفع نسبي؛ ليقم المتقون، فينصب لهم لواء فيتبعونه إلى الجنة»[٦٥].

والمخفوض حقًّا من فاته التوفيق والنصرة، وأدركه الخذلان والفترة، فهو بالهجران موسوم، وبين الفترات والأشغال مقسوم يبيت في فترة، ويصبح في حشرة.

قال بعض العارفين: من أراد تملك الدارين، فليدخل في مذهبنا يومين.

قيل: إن امرأة كانت تسمى مسكينة تخدم مسجدًا، فماتت فرؤيت في المنام، فقيل لها: ما فعل الله بك يا مسكينة؟ فقال: هيهات ذهبت المسكينة، وجاء الغنى الأكبر، وأي عز أعظم من عز المؤمنين في الجنة.

قيل: إن الملائكة إذا نزل منهم ملك إلى منزل المؤمن، فيستأذن من سبعين حجابًا، قيل: إن ينزل إليه، فإذا وصل إليه ناوله كتابًا مكتوب فيه من الحي الذي لا يموت عبدي هل أنت عني راض؟ عبدي قد اشتقت إليك فزرني، وأما المتكبرون، فإنهم يوم القيامة أذل من التراب الذي تطأه الأقدام، فإنهم نازعوا الله في حقه وهو الكبرياء، فهو المعز المذل فقوم أعزهم الغنى وقوم أذلهم بالفقر، فمن كان في الغنى شاكرًا، وفي الفقر صابرًا فله العزة في الآخرة، ومن كان في الغنى متكبرًا، وفي الفقر متسخطًا هلك إلا أن يتداركه الله برحمته، فهو سبحانه أعز قومًا بالطاعة، وأذل قومًا بالمعصية، وأعزَّ قومًا بالورع، وأذل قومًا بالحرص والطمع، ومن كلام العارفين أقلع الطمع من قلبك ينحل القيد من رجلك، وقال:

طلبتُ المستقرَ بكلِّ أرضٍ ... فلمْ أرَ لِي بأرضٍ مستقرًا

ونلتُ منْ الزمانِ ونالَ منِّي ... فذقتُ مذاقهُ حلوًا ومرًّا

أطعتُ مطامعِي فاستبعدتني ... ولوْ أنِّي قنعتُ لكنتُ حرًّا

قيل: إن بعضهم مرَّ على السجن فنظر إلى المسجونين، فقال: هؤلاء الذين لم يصبروا على أكل الخبز بغير أُدْم.

(٦٥) رواه الحاكم (٢/ ٣٠٥)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٨٨)، وفي الصغير (١/ ٣٨٣).

حكي أن رجلاً رأى زمامًا يدخل دار ملك بغير إذن، فقال: من فقدت منه الشهوة لم يحجب عن الملوك.

ويقال: الشهوة والصفوة لا يجتمعان، وليس العزيز من تعاظم في نفسه وتكبر على أبناء جنسه، إنما العزيز من له حظ من أنسه وجذب من صحة نفسه بشهود قدسه، والذليل من ربط بالخذلان ووسم بالحرمان، فهو بالآفات موسوم وبين الهموم والأشغال مقسوم.

وقيل: إذا أعز الله عبدًا دله على ذل نفسه، وإذا أذل الله عبدًا رده إلى توهم عزه.

ويقال في قوله الله ﷻ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران:٢٦]: أن يكون لك وبين يديك، وتذل من تشاء بأن يكون في أسر نفسه وسجن شهوته يصح محجوبًا ويمشي محرومًا، وكل خير وشر ونفع وضر، فهو بقضاء الله ومشيئته، فسبحانه وتعالى.

باب في أسماء الله ﷻ الضار النافع المعطي المانع

يقال: المعطي يعطي النعم الظاهرة والباطنة للأجسام والقلوب، ويمنع العطاء، ويمنع البلاء ويصرفه عمن يشاء، وفي الحديث: «**إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب**»[٦٦].

ومن أسمائه تعالى **القابض، الباسط**[٦٧] أي: ويقبض الرزق، فيضيق على من يشاء

---

(٦٦) رواه البيهقي في الشعب (٤/ ٣٩٥).

(٦٧) قال سيدنا الشعراني: وقال الشيخ الأكبر: في الكلام على الاسم الباسط: اعلم من أرضى الله تعالى فقد منع غضبه وبسط رحمته، والله يقبض ويبسط فله الحكم كله، غير أن محال البسط تختلف باختلاف الأحوال، فأمَّا في محل الدنيا فلو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض، فأنـزل بقدر ما يشاء وأطلق لعباده في الجنة البسط لكونها ليست بمحل يفنى ولا يبيد، وقد نـزع الله الغل من صدورهم، فالعبد بإتباع الشرع يورث في الجناب الأقدس المحبة في هذا المتبع فيحبه الله، فإذا أحبه انبسط له، فحال العبد في الدنيا إذا انبسط الحق إليه أن يقف مع الأدب في الانبساط، وهو قبض يسير؛ إذ من المحال كمال البسط في الدنيا رغبةً في الأدب، كما أن من المحال كمال القبض في الدنيا خوفًا من القنوط، غير أن حكم القبض أعم في الدنيا من البسط، فمِنْ الناس من وفَّقهم الله لوجود إفراج العباد على أيديهم أول درجة من ذلك، ومن يضحك الناس بما يرضى الله أو بما لا يرضى فيه ولا سخط، وهو المباح فإنَّ ذلك نعت إلهي لا يشعر به، بل الجاهل يهزأ بصاحبه، ولا يقيم له وزنًا هو المسمى في العرف مسخرة، وأين هذا الجاهل بقدر هذا الشخص من قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم:٤٣] ولاسيما وقد قيدناه بما يرضى الله أو بما لا رضا فيه ولا سخط، فمن راقب آثار الحق فيه عظم في عينه هذا

ويقدر على قدر الحاجة، ويقبض القلوب بالهم والضيق، ويبسطها بالسرور والسعة، ويقبض الأرواح من الأشباح عند الموت، ويبسطها في الأشباح عند البعث.

ويقال: يقبض الصدقات من الأغنياء ويتقبلها، ويبسط للفقراء فيغنيهم إذا شاء، والقبض عند أهل الحقائق ضيق يدخل على القلب؛ لمراقبة الرب ومطالعة صفات السطوة والقهر، والبسط توسعه ترد على القلب سرور بإطلاع الرب؛ لمشاهدة صفات الرأفة والكرم.

ويقال: إذا قبض أدهش حتى لا طاقة، وإذا بسط أنعش حتى لا فاقة، فالخائفون بين خوف ورجاء، وأصحاب المراقبة بين قبض وبسط، وأصحاب المشاهدة بين هيبة وأنس، فالخائف فكره في العقاب والثواب، والمراقب مشغول بالاطلاع، فالعارف يشاهد الجلال والجمال، فإذا شاهد الجلال فهو في دهش وحيرة ووله وفناء، وإذا شاهد الجمال فهو في بسط وأنس وسرور وبقاء.

وقيل: العارفون شاهدوا جلاله فغابوا، والمحبون شاهدوا جماله فطابوا، فالغائب متيم بكشف جلاله، ومن طاب فهو متيم بلطف شهود جماله، والحقائق إذا اصطدمت في القلوب لا تبقى ولا تذر، والمعاني إذا هي استولت على الأسرار فلا عين ولا أثر،والعارف إذا شاهد الجلال أدهشه العز، فيقول بلسان حاله ودهشته عند مشاهدته:

=

المسمى مسخرة ضرورة، ولذلك كان لرسول الله ﷺ من يضحكه ليشاهد هذا النعت الإلهي في مادة فكان أعلم بما يرى ولم يكن ﷺ ممن يسخر به ولا يعتقد فيه السخرية، وحاشاه من ذلك ﷺ بل كان يشهده محلاً إلهيًا يعلم منه ذلك العلماء به، ومن هذه الحضرة كان ﷺ يمازح العجوز والصغير يباسطهم بذلك ويفرحهم، ألا ترى أكابر الملوك كيف يضحكون أولادهم بما يتنزلون به إليهم في حركاتهم حتى يضحك الصغير؟ واعلم أن القبض أبدًا لا يكون إلَّا عن بسط، والبسط قد يكون عن قبض، وقد يكون ابتداء، فالابتداء سبق الرحمة الإلهية الغضب الإلهي، والرحمة بسط، والغضب قهر، والبسط الذي يكون فيه بعض قبض كالرحمة التي يرحم الله بها عباده بعد وقوع العذاب بهم، فهذا بسط بعد قبض وهذا البسط الثاني محال أن يكون بعده ما يوجب قبضًا يؤلم العبد، فالبسط عام المنفعة، وقد يكون فيه في الدنيا مكر خفي، وهو إرداف النعم مع وجود المخالفات، فيطيل الحق لهم ليزدادوا إثمًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران:١٧٨] والإملاء بسط في العمر والدنيا، فيتصرفون فيها بما يكون فيه شقاؤهم. [مختصر الفتوحات المكية(بتحقيقنا)].

بـأيِّ فيَّـا في الأرضِ أبغِـي وصـالكمْ وأنـتمْ ملـوكٌ مَـا لقـصدكمْ نحـوُ

ومن عادة المحب إذا شاهد جمال المحبوب، طمعت آماله بالوصال شعر في المعنى:

يبـشرنِي جمالـكَ بالتـداني فـأطمعُ بالأمـانِ وبالأمـانِي

فـلِي في كـلِّ جارحـةٍ سرورٌ ولِي في كـلِّ ناطقـةٍ لـسانِي

العابدون شاهدوا أفضاله فبذلوا نفوسهم، والعارفون شاهدوا جلاله فبذلوا قلوبهم، والمحبون شاهدوا جماله فبذلوا أرواحهم، من شاهد جلاله طاش، ومن شاهد جماله عاش، فالعابدون بين خوف ورجاء، والعارفون بين فناء وبقاء.

ويقال: مَنْ عَرَفَ اسم ربه نسي اسم نفسه، ومن صحب اسم ربه تخلق بأنسه قبل وصله إلى دار قدسه.

قال أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الحَوَارِيِّ: خرجت يومًا إلى المقبرة، فلقيت شابًا في طريقي عليه آثار النحول وسيم العبادة، فقلت: يا شاب من أين أقبلت؟ قال: من هذا العسكر، وهو يشير بيده إلى المقابر، قلت: فماذا قلت لهم؟ قال: قلت لهم: ترحلون؟ فقالوا: حتى تقدموا ثم ولى هاربًا فتبعته، وقلت: إلى أين؟ قال: ألتمس العيش، قلت: وكيف تطلب العيش من الفَلَوات؟ قال: وما العيش عندكم؟ قلت: المال والنعم، قال: أواه دعني أعيش من عيش يورث أحزانًا، قلت: فما العيش عندكم؟ قال: الإقرار بتوحيد الله، والنزول بغناء الله، والتلذذ بحلاوة مناجاة الله، فتزدحم عليك الفوائد من الله، قلت: فأوصني بوصية؟ قال: عليك بالبراري والقفار قلت: فيمن استأنس؟ قال: ويحك هل الأنس إلا الانقطاع إلى الله والهروب من خلقه، قلت: فمن أين القوت؟ قال: أفٍ لك تهرب إلى الله ببدنك وتتهمه في رزقك، اذهب وألق نفسك معه حيث ألقاك، فإنه أنعم لعيشك وأقل لعنائك، ثم ولى وتركني.

قيل: سئل عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ ﷺ عن أولياء الله فقال: **«قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فباشروا روح اليقين، فاستلانوا ما استوعره المترفون، فاستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى»** أولئك خلق الله في أرضه والدعاة إلى دينه.

وقيل لبعضهم: ما فعل فلان؟ قال: توحش واستأنس.

حُكي أنَّ رابعة العدوية قيل لها: بم نلت هذا المقام؟ قالت: بتركي ما لا يعني وأنسى بمن لم يزل أنيسي، فإن أولياء الله وجدوا النعيم والأنس في الانقطاع إليه والتذلل بين يديه، فإن تكدر لهم وقت يكون من عليه؛ لأن النعمة العظمى نعمة القلوب، كما أن المحبة الكبرى محبة القلوب.

قال بعضهم: رأيت رجلاً يطوف بالبيت، وهو يقول: واوحشتاه بعد الأنس، وأَذَلَّاه بعد العِزِّ، وأَفْقَرَاه بعد الغِنَى، فقلت له: ما أصابك؟ قال: كان لي وقت فعدمته.

وقال ابن خفيق: رأيت فقير ينادي: ارحموا من ذهب رأس ماله، فقلت: يا فقير وهل للفقير رأس مال؟ قال: نعم كان لي قلب عدمته، وأنشد:

كانَ لِي قلبٌ أعيشُ بهِ ... ضاعَ منِّي فِي تقلبهِ
ربِّ فأردده عليَّ فقدْ ... عيلَ صبرِي فِي تطلبهِ
وأغثْ ما دامَ بِي رمقٌ ... يا غياثَ المستغيثَ بهِ

قيل: دخل عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ على فقير مريض يعوده، ومعه جماعة، فقال المريض: يا أستاذ ما في هذه الجماعة من يقول شيئًا فنسمعه، فقلت له: اسمعنا أنت وطبنا طيبك الله فأطرق ساعة، وأنشد:

إنِّي لأذكركمْ فتذهبُ علتِي ... عنِّي وأذكرُ صدكمْ فتعودُ
مالِي مرضتُ فلمْ يعدنِي عائدٌ ... منكمْ ويمرضُ عبدكمْ فأعودُ
وأشدُّ منْ مرضِي عليَّ صدودكمْ ... وصدودُ منْ أهوَى عليَّ شديدُ
أقسمتُ لأعلقُ الفؤادَ بغيركمْ ... ولكنْ عليَّ بمَا أقولُ عهودُ

وقيل: سُئل بعض العارفين عن القرب، فقال: فقد حسن الأشياء من القلب، واشتغاله بذكر الله.

ويقال: الأسماء على ثلاثة أقسام:

الأول: منها ما فيه تصريح بالقهر، وهوا لقهار والمنتقم والمتكبر والجبار، وما في معناه.

الثاني: ما فيه تصريح بالرحمة، وهو الرحمن الرحيم والرءوف، وما في معناه.

الثالث: ما فيه تصريح بواحد منها، فإنه للجلال والجمال.

فإن القادر الذي يخاف بطشه وقهره ويرجى فضله ونصره، والعالم الذي يحب الحياء من اطلاعه ويستبشر بنظره ويرجى حسن تدبيره، والمتكلم الذي يخاف وعيده ويرجى وعده، وهو باب عظيم لمن تأمله، فكل واحد يجد من قوته على قدر ما فتح له.

ومن عرف الجلال والجمال كان بسره متنزهًا في رياض مونقة يجني منها أنواع الثمار، ومن ثمراتها أن يستصغر الدنيا وما فيها، أولا يوطن عليها نفسًا، ولا يطلب فيها، ويستصغر نفسه وأعماله وأحواله.

وقدر روي أن الملائكة عشرة أقسام: قسم مرسل في الأمر، وتسعة أقسام، فمنهم راكع وساجد وقائم، لا يفترون عن أحوالهم، ولا عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل من ذلك، ولا يفترون من البكاء، ولا يقطر من أعينهم دمعة إلا خلق الله منها ملكًا يعبد الله، ولا يرفعون رؤوسهم من هيبة الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة قاموا وهم يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

ويقال: لا يصل أحد إلى روح الحرية حتى تصح له حقيقة العبودية، ولا تصح له حقيقة العبودية حتى لا يبقى عليه لغير الله بقية المكاتب عبد ما بقى عليه درهم فهو مُعافٍ، ومن طلب من الدنيا فرق الكفاية عميت عينا قلبه.

وقيل: إن الزاهدين لما سمعوا قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى:١٧]، انقطعوا عن الدنيا والعارفون لما سمعوا قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، انقطعوا إلى الله عما سواه، ولا غرو أن يزهد عارف بمن لم يزل في حادث بعد إذ لم يكن إذا صفت همته عن كدورة أمنيته وتخلص سره عن وحشة حجته، ومن شاهد الجلال نسي صولة نفسه، ومن شاهد الجمال وجد لذة أُنسه.

ويقال: التصوف، ذبح الأماني بسكين اليأس.

ويقال: التصوف، التعزز عن الخلق ثقة بالحق.

حكي أن رجلاً وقف على بعض الفقراء، فقال للفقير: ألك حاجة؟ قال: نعم، إن تخرجني من النار وتدخلني الجنة، قال: ليس لي ذلك، قال: فلم تسألني عن حاجتي وأنت لا تقدر عليها.

وقيل لرابعة: إن فلان يريد أن يواسيك بشيء من الدنيا، فقالت: واعجباه نحن وإياه عبيدًا لله من المحال أن يرزقه ويتركنا.

وقيل: ليس العجب من أخوة يوسف حيث باعوه بدراهم معدودة، وإنما العجب ممن باع حظه من الله بشهوات مفقودة، ثم إن إخوة يوسف وقفوا بين يديه في مقام الخجلة وخروا له سجدًا بدلاً من التمكين على بساط الوصلة، هذا جزاء من لم يعرف قدر نسبه، فكيف جزاء من لم يعرف قدر حبيبه.

ويقال: إن مُوسَى بْنَ عمران ومريم-عليهما السلام- لما أسلما إلى كفالة الله رباهما بأحسن تربية برعايته، وكذلك من أسلم قلبه إلى الله أصلحه بحسن عنايته، ثم إن مريم لم ترد بنقص الأنوثة، وكذلك قلب المؤمن لا يرد بعيوب نفسه، فإن الله عزيز فهو يغفر الزلل ويصلح الخلل، والعبد ذليل لم يكن، وإذا كان الحق ينعم والعبد يشكر غيره، فكيف لطفه بمن أقبل عليه وسلم كليته إليه.

حكي أن رجلاً جاء إلى بعض الأمراء يسأله شيئًا فوجده يصلي، فقال: والله إن الأمير يطلب من الله، فلأطلبنَّ ممن يطلب منه، فتركه ومضى، فأخبر الأمير به فاستدعاه وأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال له: أعطاك الذي سألته وأنا ساجد.

إلهي تفضل علينا بالأمنية قبل حلول المنية، ومن علينا بنظرة قبل أوان الحسرة، وأدركنا بنسمة قبل وقوع النقمة، شعر في المعنى:

يــا مَــنْ تباعــدَ صــبري مِــن تباعــدِهِ ... وضــاعَ قلــبٌ بــينَ الحــزنِ والقلــق

أدركْ بقيــةَ روحٍ فيــكَ قــدْ تلفــتْ ... قبــلَ المــماتِ فهــذا آخــرُ الرمــق

فلــوْ مــضَى الكــلُّ منّــي لمْ يكــنْ عجبًــا ... وإنــمَا عجبِــي للــبعضِ كيــفَ بقــى

وقال بعضهم: الذُّلُّ نقص إلا في خدمتك، والصَّبر جميل إلا عنك، والطلب قبيح إلاَّ منك، والشكوى جزع إلا إليك. شعر:

إنْ كنــتَ تجــبرنِي وتــرحمَ ذلتِــي ... وتجــبرنِي كرمًــا وإلَّا مَــنْ أنَــا

ولــئنْ رددتَ وأنــتَ أعــدلُ حــاكمٍ ... طــالَ العنَــا، طــالَ العنَــا، طــالَ العنَــا

أنــتَ الكــريمُ فــإنْ رحمــتَ تكرمًــا نلــتُ المُنَــا، نلــتُ المنَــا، نلــتُ المنَــا
وأنَــا الفقــيرُ فــإنْ مننــتَ بنظــرةٍ فــلي الغنَــا، فــلي الغنَــا، فــلي الغنَــا
عــزُّ الــشفاءِ فــإنْ عطفــتَ بنــسمةٍ زالَ الــضنَا، زالَ الــضنَا، زالَ الــضنَا
إنْ عــادَ شــملي بعــدَ بعــدكَ جامعًــا فــلي الهنَــا، فــلي الهنَــا، فــلي الهنَــا
مَــا حــاجزٌ لــولاكَ مَــا رمــلُ النقَــا مَــا المنحنَــا، مَــا المنحنَــا، مَــا المنحنَــا

اللهم إنَّا نسألك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم، أن ترزقنا مما رزقت أولياءك، واجعلنا من المنعمين بذكرك وثنائك، وارزقنا سعادة الدنيا والآخرة، واجعل وجوهنا إليك ناظرة، فاغفر لكاتبه وقارئه، ولمن دعا له وللمسلمين بالمغفرة وصلى الله على سيدنا محمد وآله، واعترته الظاهرة، وسلم تسليمًا كثيرًا، ورضي الله تعالى عن أصحاب سيدنا رسول الله أجمعين.

قال المؤلف- رحمه الله- مذهب ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- إن الحروف التي في السور قسم بأوائلها، فالحاء قسم؛ لأنها من أوائل الأسماء الواردة في جملة أسماء الله الحسنى وهي حكيم، وحليم، وحميد، وحنان، وحي، وقد رتبت الأسماء على فواتحها على ترتيب الحروف، فكل حرف منزل هكذا كما نراه.

حروف الألف: عدتها، وهي الله وإله، وأعلاه، وأكرم، وأكبر، وأهل التقوى، وأهل المغفرة، وأسرع الحاسبين، وأحسن الخالقين، وأحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأول وآخر.

حرف الباء: وهي: بارئ، بديع، باعث، بادئ، باقي، باسط، باطن، بصير.

حرف التاء: وهو: تواب.

حرف الثاء: وهو: ثابت.

حروف الجيم: وهي: جبار، جليل، جميل، جاعل، جامع، جابر.

حروف الحاء: وهي: حي، حق، حكم، حليم، حكيم، حاكم، حسيب، حاشر، حافظ، حفيظ، حنان، حميد.

حروف الخاء: وهي: خبير، خالق، خافض، خير الراحمين، خير الرازقين، خير الغافرين، خير المنزلين.

حروف الدال: دائم، دافع، داع، ديان.

حروف الذال: وهي: ذاكر، ذَارِئ، ذو الجلال، ذو العرش، ذو القوة، ذو البطش.

حروف الراء: وهي: رحيم، رحمن، رءوف، رقيب، رشيد، رازق، رزاق.

حرف الزاي: وهو: زائد.

حروف السين: وهي: سيد، سند، سميع، سُبُّوحٌ ، سلام، سريع، سامع.

حروف الشين: وهي: شهيد، شديد، شكور، شاف.

حرف الصاد: وهي: صادق، صمد، صبور.

حرف الضاد: وهو: ضار.

حروف الطاء: وهي: طيب، طاهر.

حروف الظاء: وهو: ظاهر.

حروف العين: وهي: عزيز، عليم، عليٌّ، عليم، عدل، عفو.

حرف الغين: وهي: غفور، غني، غالب، غيث.

حروف الفاء: وهي: فتَّاح، فاطر، فالق، فرد، فعال.

حروف القاف: وهي: قادر، قدير، قاهر، قهار، قيوم، قديم، قائم، قدوس، قوي، قريب، قابض، قابل، قائل.

حروف الكاف: وهي: كبير، كثير، كريم، كافٍ، كفيل، كائن.

حرف اللام: وهو: لطيف.

حروف الميم: ملك، مالك، مليك، مؤمن، مهيمن، متين، مبين، محيط، مجيد، مقيت، مصور، مقتدر، متكبر، منعم، متفضل، متعال، محي، مميت، مبدئ، معيد، معز، مذل، مقدم، مؤخر، مدرك، مهلك، محصي، معطي، مانع، منتقم، منان، متكلم، مكرم، مقسط، محسن، مغيث، معين، مجيب، مقيل، مقلب.

حروف النون: وهي: نور، نافع، نصير، ناصر.

حروف الهاء: وهي: هُو، وهادٍ.

حرف الواو: وهي: واحد، واجد، ودود، وتر، ولي، وافٍ، وهاب، وكيل.

حروف الياء: وهي: يقبض، ويبسط، ويعطي، ويمنع.

وهذا الفصل على أول حروف في الاسم، وقد استخرت الله تعالى وأضفت أعداد ما قد اجتمع الحصر عليه من الأسماء الحسنى، عدد كل اسم منها بالجمل الكبير بعدما أسقطت منها الألف ولام التعريف، وأسأل الله الإعانة من فضله وإحسانه إنه قريب مجيب.

هو	الله	رحمن	رحيم	ملك	قدوس	سلام	مؤمن	مهيمن	عزيز	جبار
١١	٦٦	٢٩٨	٢٥٨	٩٠	١٧٠	١٣١	١٣٦	١٤٥	٩٤	٢٠٦
متكبر	خالق	بارئ	مصور	غفار	قهار	وهاب	رزاق	فتاح	عليم	قابض
٦٦٢	٧٣١	٢١٣	٣٣٦	١٢٨١	٣٠٦	١٤	٣٠٨	٤٨٩	١٥٠	٩٠٣
باسط	خافض	رافع	معز	مذل	سميع	بصير	حكم	عدل	لطيف	خبير
٧٢	١٤٨١	٣٥١	١١٧	٧٧٠	١٨٠	٣٠٢	٦٨	١٠٤	١٢٩	٨١٢
حليم	عظيم	غفور	شكور	علي	كبير	حفيظ	مقيت	حسيب	جليل	كريم
٨٨	١٠٢٠	١٢٨٦	٥٢٦	١١٠	٢٣٢	٩٩٨	٥٥٠	٨٠	٧٣	٢٧٠
رقيب	مجيب	واسع	حكيم	ودود	مجيد	باعث	شهيد	حق	وكيل	قوي
٣١٢	٥٥	١٣٧	٧٨	٢٠	٥٧	٥٧٣	٣١٩	١٠٨	٦٦	١١٦
متين	ولي	حميد	محصي	مبدئ	معيد	محي	مميت	حي	قيوم	واجد
٥٠٠	٤٦	٦٢	١٤٨	٥٦	١٢٤	٦٨	٤٩٠	١٨	١٥٢	١٤
ماجد	واحد	صمد	قادر	مقتدر	مقدم	مؤخر	أول	آخر	ظاهر	باطن
٤٨	١٩	١٣٤	٣٠٥	٧٤٤	١٨٤	٨٤٦	٣٦	٨٠١	١١٠٦	٦٢
وال	متعال	بر	تواب	منتقم	عفو	رءوف	مالك الملك	ذو الجلال والإكرام		
٣٧	٥٥١	٢٠٣	٤٠٩	٦٣٠	١٥٦	٢٨٩	٢١٢	١١٠٠		
مقسط	جامع	غني	مغني	مانع	ضار	نافع	نور	هادي	بديع	باق
٢٠٩	١١٣	١٠٦٠	١١٠٠	١٦١	١٠٠١	٣٠١	٢٥٦	٢٠	٨٦	١١٣
وارث	رشيد	صبور	محسن	صادق	جليل	جميل	فاطر	مدبر	كفيل	واسع
٧٠٧	٥١٤	٢٩٨	١٥٨	١٩٥	٧٣	٨٣	٢٩٠	٢٤٦	١٤٠	١٣٧
خالق	عالم	حاضر	شاهد	ساتر	مقدر	قديم	سبوح	ممرض	معاف	شاف
٧٣١	١٤١	١٠٠٩	٣١٠	٦٦١	٣٤٤	١٥٤	٧٦	١٠٨٠	٢٠١	٣٩١
كاف	ديان	سلطان	سيد	سند	سبحان					
١١١	٦٥	١٥٠	٧٤	١١٤	١٢١					

خاتمة

تمت الأسماء بأعدادها وهذا آخر «المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» بحمد الله، وحسن عونه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا.

وهذه النسخة منقولة من نسخة مؤرخة في ضحوة يوم الإثنين الثامن عشر من شهر شوال سنة ألف وثمانية عشرين من الهجرة، والله أعلم.



فهرس الموضوعات